AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

LIBRARY

١٢

خمسة شعراء جاهليين

امرؤ القيس
طرفة
النابغة
زهير بن ابي سلمى
عنترة

892.7109
F246kaA

تاليف

الدكتور عمر فروخ
استاذ الفلسفة الاسلامية والادب العربي
في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

عارف ابو شقرا
احد مدرسي اللغة العربية
في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

بيروت

١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م

حقوق الطبع محفوظة للمكتبة

يطلب من مكتبة منيمنة - شارع المعرض: بيروت

دراسات قصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة

١. في الادب :

الحجاج بن يوسف
عمر بن ابي ربيعة
ابن المقفع
الرسائل والمقامات
ابن الرومي
كلمة في احمد شوقي
اربعة ادباء معاصرين
خمسة شعراء جاهليين

٢. في الفلسفة :

الفارابيان (الفارابي وابن سين
ابن طفيل وابن رشد
ابن خلدون
اثر الفلسفة الاسلامية
في الفلسفة الاوروبي
شعراء البلاط الاموي
(الاخطل والفرزدق وجرير

تحت الطبع

الجاحظ
بشار
المتنبي

تحت الطبع

ابن باجة والفلسفة المغربية
اخوان الصفا
نهج البلاغة

تاريخ سورية ولبنان المصور ــ الجزء الرابع للمدارس الثانوية ومنهاج البكالوريا اللبنانية
يتضمن تاريخ سورية السياسي والاجتماعي والثقافي مع صلات سورية بالعالم من
٤٠٠٠ ق.م الى شباط ١٩٤٤.

الكلمة الاولى

صحة الشعر الجاهلي

تطرق الشك الى صحة الشعر الجاهلي منذ ايام ائمة الشعر الاولين ، ومن هؤلاء تناول المستشرقون هذا الشك فافاضوا في الكلام عليه ، ومن المستشرقين تناوله كتابنا المحدثون . واذا كان الشك قد تطرق الى جميع ما يستند الى الاخبار المروية ـ وخصوصاً ما كان قديماً ـ والى ما كان مدوناً في بعض الاحيان ، فليس من المستغرب ان يتطرق الى الشعر الجاهلي ايضاً . فما خلاصة آراء الائمة من علماء الشعر في هذا البحث ؟

« الشعر الجاهلي » حقيقة تاريخية ، ولكن بما ان العرب لم يدونوا هذا الشعر بل اكتفوا بان يتناقلوه خلفاً عن سلف وفي ازمنة متطاولة وفي احوال مؤاتية او غير مؤاتية فقد (١) نُسي بعضه فضاع و (٢) نسب الراوون بعض هذا الشعر ، عمْداً او سهواً الى غير قائله ، ثم (٣) رغب بعض الافراد بالدفاع عن انسابهم او باختلاق احساب لهم ولاسلافهم فعمدوا الى نظم ابيات او مقطّعات او قصائد ، او انهم سألوا بعض شعرائهم المعاصرين مثل ذلك ثم نسبوه الى شعراء متقدمين . و(٤) كذلك اراد بعض اللغويين ان يستروا خطأ وقعوا فيه فاختلقوا له شاهداً « ونحلوه » شاعراً قديماً او دسوه في قصيدة قديمة معروفة . وربما فعل بعض رواة التاريخ والحديث واللغة مثل ذلك . ولقد كان للنزاع بين الاحزاب السياسية على الاخص يد غير مشكورة في « نَحْل الشعر »

وعلى هذا نشك نحن ايضاً في صحة بعض الشعر الجاهلي ولكن لا نشك فيه كله ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك ، ذلك لان « الناحل » يستطيع ان يقلد البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين ، ولكنه لا يستطيع ان يخلق شاعراً ولا ان يتلبس بشخصية شاعر . واذا استطاع ان يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل يستطيع ان يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء امثال امرىء القيس وطرفة وعنترة والاعشى . اضف الى ذلك ان هنالك « اشارات متقاطعة » نراها في الدواوين المختلفة ، فترى عبيد بن الابرص يذكر معاصره امرأ القيس وتجد امرأ القيس يذكر فلاناً وفلاناً ، فكيف يتأتى لمن اختلق هذا الشعر ـ

سواء اكان فرداً ام كانوا نفراً ـ ان يلموا بذلك كله ويوفقوا بينه ؟ ثم هنالك رد الاشارات المتأخرة في القرآن الكريم الى الشعر الجاهلي وفي دواوين الشعراء الامويين والعباسيين الى الشعراء الجاهليين انفسهم باسمائهم وخصائصهم ، خذ من ذلك قول الفرزدق (ت ١١٠ هـ ، ٧٢٨ م) :

وهب القصائدَ لي النوابغُ اذ مضَوْا ... وابو يزيد وذو القروح وجرول
والفحل علقمة الذي كانت له ... حلل الملوك كلامه لا يُنحلُ
واخو بني قيس وهن قتلنه ... ومهلهل الشعراء ذاك الاول
والاعشيان كلاهما ومُرَقشٌ ... واخو قضاعة قوله يتمثل
واخو بني اسدٍ عَبيدٌ اذ مضى ... وابو دؤادٍ قوله يتنخّل
وابنا ابي سُلمى زهير وابنه ... وابن الفُريعة حين جد المِقول

الى آخر ما عدد . حينئذ انتضى له جرير (ت ١١٠ هـ) ونقض عليه معانيه وعيره بتعداد اسماء الشعراء الاقدمين :

حسب الفرزدق ان تُسَبّ مجاشعٌ ... ويَعُدّ شعر مُرقش ومهلهِلِ !

يعني جرير بذلك ان الفرزدق لا يستطيع ان يدفع السُباب عن قبيلة مجاشع فينحرف الى الافتخار بشعر قدماء الشعراء .

اذا كان ثمت ابيات مدسوسة على الشعراء الجاهليين واذا كانت هنالك قصائد قد نسبت سهوا او عمداً الى غير اصحابها او غير زمانها ، فليس في ذلك كله ما يبرر الشك في الشعراء الجاهليين كلهم ولا في الشعر الجاهلي كله .

ولا تحسبن ان هذا خاص في الادب العربي وحده بل هو عام في الآداب كلها ، وحسبك ان تعرف ان الياذة هوميروس عرضة لاكبر من هذا الشك ، فاطلب ذلك في مظانّه .

١٩٤٤/٣/١٢

الجاهلية والشعر الجاهلي

الجاهلية « الجاهلية » اسم اطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام وامتد نحو مائة وخمسين عاماً (٤٧٥ — ٦٦٢ م) ، وهي الحقبة التي نعرف بعض تاريخها بشيء من التفصيل او الدقة . والجاهلية هنا مشتقة من « الجهل » الذي هو ضد الحلم لا الذي هو ضد العلم ، ذلك لان العرب حازوا في تلك الحقبة علوماً فطرية كثيرة كالطب وعلم النجوم وعلم الرياح واقتفاء الاثر والكهانة والعرافة ، اضف الى ذلك كله ان آدابهم من شعر ونثر كانت تنكشف عن مقدرة لغوية عظيمة وعن رقي عقلي كبير وعن حِكَم ونظرات في الحياة والموت والاخلاق والاجتماع مما لم ينحط عن علوم الذين جاوروهم في عصرهم ذلك .

على ان حياة العرب قبل الاسلام كانت بعيدة في بعض نواحيها عن الحِلم : كان اقوام منهم يعبدون الاصنام التي حملت الى جزيرتهم من بعض البلدان المجاورة ، وكانوا يستقسمون بالازلام (يلعبون القمار) ويشربون الخمر ، ويئد الفقراء منهم اولادهم (بنات وصبياناً) وربما فعل الاغنياء مثل ذلك . وكان لهم في الزواج عادات مستقبحة : ربما تزوج احدهم بضع مائة امرأة ، وكانوا يطلقون نساءهم او يراجعونهن بايسر سبيل ، وكان الوالد يزوج ابنته ممن اراد هو ويأخذ مهرها فينفقه في حاجاته هو لا في سبيل زواجها هي ، وكان عندهم الظِهار (وذلك ان يغضب الرجل من امرأته فيقول لها: «انت عليّ كظهر امي» ، ثم لا يقربها بعد ذلك مع بقائها في عصمته) وكان عندهم زواج المقت (وذلك ان الرجل اذا مات وخلف نسوة جاز لابنائه ان يتزوجوا بهن على شرط الا يتزوج احدهم بامه هو) . وكذلك كان عندهم التبني (وهو ان يتخذ احدهم اطفالا من غير نسله اولاداً له يلفهم باهله ويورثهم الخ . .)

ومن سيئات العرب قبل الاسلام « الحمية الجاهلية » التي قامت على العصبية وحملت الافراد على ان يأخذوا بثأرهم من غرمائهم بايديهم فوقعت العداوة بين القبائل واتصلت الحروب في شبه الجزيرة سنين طِوالا . بمثل هذه العادات سمّى القرآنُ الكريمُ العربَ قبل الاسلام « اهل الجاهلية » .

الا انه من الانصاف ان نذكر الى جانب هذه السيئات حسنات اسلافنا . كان اولى تلك الحسنات « البِر » وذلك ان العرب كانوا اهل فطرة ولم يكن لهم دين مُنزَّل فكانوا يخافون الله ويفعلون الخير الى ذوي القرب والى البعداء والغرباء ويطيعون ذوي قرباهم وذوي الامر فيهم اطاعة يحمل عليها خير القبيلة في رأيهم .

وكان لهم صفات شخصية وعادات اجتماعية حميدة كالشجاعة والنجدة والدفاع عن العِرض وعن القبيلة وكالكرم والضيافة والصدق والوفاء بالعهود وحب الخير مما يرافق الحياة الفطرية في الاغلب ، الا انه كان في العرب اشدّ بروزاً واثبت قواعد .

وكل ما مر بك من السيئات والحسنات قد ظهر في الشعر الجاهلي .

الشعر الجاهلي الشعر الجاهلي هو مجموع ما وصل الينا من شعر العرب الذي قيل قبل الدعوة الاسلامية (٦١٠ م) ومجموع ما قاله الشعراء الذين لم يدخلوا في الاسلام الى وفاة الرسول (١١ هـ ، ٦٣٢ م) كبعض شعر الاعشى مثلاً . اما ما نظم بعد ذلك الى سقوط الدولة الاموية (١٣٢ هـ ، ٧٥٠ م) فهو اسلامي (يعني نظم في الاسلام) سواء اكان اصحابه مسلمين كحسان بن ثابت وعمرا بن ابي ربيعة ، او غير مسلمين كالربيع بن ابي الحقيق اليهودي او الاخطل النصراني .

١ . نشأته ـ الشعر العربي قديم النشأة ، واذا كان لم يصل اليها شعرٌ اقدَمُ من شعر عَبيد بن الابرص والمهلهل بن ربيعة وامرىء القيس بن حُجر وعمرو بن قميئة ، فما ذلك الا لان كل شعر سابق لزمان من عددنا قد ضاع من افواه الرواة ، كشعر عُروة بن حِزام وشعر غيره من الذي لم تصل الينا اسماؤهم ايضاً . واذا تأملنا شعر امرىء القيس مثلا الفيناه شعراً قد بلغ من التطور ، في التفكير وفي الالفاظ والتراكيب وفي المعاني والآراء وفي الاوزان والقوافي ، مبلغاً يدل بلا ريب على ان هذا الشعر لم يبلغ الى ما بلغ اليه الا بعد ان مر في ادوار كثارٍ طوالٍ لا نبالغ اذا قلنا انها الفا سنة على الاقل : ان شعر امرىء القيس ليس بدء الشعر العربي ، ولكنه ـ من حيثُ التركيبُ اللغوي والنحْوي ـ قمة تطوره .

ويبدو ان العرب اتخذوا الشعر وسيلة للتعبير عن خيالهم ووجدانهم قبل ان يجعلوا النثر « اداة فنية » لتبيان آرائهم ووصف اوجه حضارتهم .

٢ . اسواقه ومواسمه ـ واتسع نطاق الشعر فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب ، بل شمل ذكر المفاخر ووصف المعارك وتعداد بعض الحوادث حتى سُمّيَ بحق « ديوان العرب » اي سجل تاريخهم . من اجل ذلك اقتُضيَ ان يُنشد في المجتمعات وفي الحفل الغفير فأخذ الشعراء يؤمون الاسواق المحلية الخاصة والاسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه او يدل على براعة نفسه ، مع العلم ان هذه الاسواق كانت في الاصل للتجارة ، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية او ادبية لاجتماع الناس فيها . وربما طلب احدهم في احد هذه المواسم غريماً او عرض فيها سيفاً او فرساً كريماً للبيع ، او امّها ليبحث عن امرأة يخطبها ، او ليُشهد على عتق عبد يملكه .

اما الاسواق الصغرى فكانت كثاراً ، كل حي له سوق اسبوعي او شهري قاصر على اهل الحي ومن جاورهم في الاغلب. اما الاسواق الكبرى فكانت اقل عدداً واطول امداً ، وكان الزمن الذي يفصل بين انعقادها اطول ، هو في الاغلب عام واحد . واما اشهر هذه الاسواق ـ او المواسم الادبية ـ فثلاثة : ذو المجاز قرب يَنبُع (وينبع ثغر مدينة الرسول) ، وذو المجنّة (بفتح الميم او كسرها) قرب مكة ، ثم عُكاظ وهي سوق في صحراء بين نَخلة والطائف شرقي مكة ، وكانت تبدأ مع هلال ذي القعْدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيها فيتعاكظون اي يتفاخرون ويتناشدون .

٣. المعلقات ـ ومع الايام زاد في الحياة الادبية وجه جديد، ذاك ان الشعراء الناشئين كانوا يتبارَون في سوق عكاظ امام احد فحول الشعر ـ وقد ذكروا من هؤلاء النابغة ـ فمن حكم له على انداده اختيرت قصيدته و« عُلّقت »: قيل اعتبروها عِلْقاً اي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلّقوها على جدران الكعبة ، وقيل بل علّقوها بالذهن اي حفظوها عن ظهر قلب .

واختلف علماء الشعر في عدد المعلقات فمن مقلل ومن مكثر الا ان جمهور الرواة يجعلها ثمانيَ هي، حسب ما اختاره ابو زيد القرشي، لامرىء القيس (الكِندي) وزهير بن ابي سُلمى (المُزَني) والنابغة (الذُبياني) والاعشى (القيسي) ولبيد بن ربيعة (العامري) وعمرو ابن كلثوم (التغلبي) وطرفة بن العبد (البكري) وعنترة (العبسي) . ومنهم من يزيد عليها

معلقة الحارث بن حِلِّزة (البكرى) وعبيد بن الابرص (الاسدي) .

ويلاحظ ان هذه المعلقات موزعة بين القبائل بشيء من الانصاف . ويبدو لنا ان اختيار المعلقة في سوق عكاظ كان تابعاً لنفوذ القبيلة السياسي — في الزمن الذي اختيرت فيه — اكثر من تعلقه بمقدرة الشاعر الفنية .

٤ . مقام الشاعر — : قال ابن رشيق (١ : ٤٩) : «كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر (١) كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لانه (اي الشاعر) حماية لاعراضهم وذبٌّ عن احسابهم واشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنأون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج ... »

خصائص الشعر الجاهلي : كانت البادية بيئةَ الشعر الجاهلي ، ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية يدور حول الجمل والطلل . ومع انه قد نبغ في المدن شعراء ، فان فحول الشعر كلهم كانوا من اهل الوَبَر (سكان الخيام = البدو) ، ولم يعترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قروي (مدني) على شعراء البادية .

وعلى هذا ينتظر ان نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها الا قليلا من الوان الحضر عرضت في شعر شعراء ذهبوا الى بلاطات فارس والعراق والشام كالاعشى والنابغة مثلا . فمن تلك الخصائص :

اولا — الخصائص المعنوية :

(أ) الصدق = الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه ، وألا يتكلف في ايراده ، بصرف النظر عما اذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت او لم تقع او كان مبالغاً فيها . ان الابيات التي تصف « دارة جُلْجُل » في معلقة امرىء القيس « صادقة » تعبر عن نفس امرىء القيس وعما يتمناه امرؤ القيس في لهوه ، مع أن الحادثة نفسها قد تكون مختلقة او مبالغاً فيها » . وهذا التعليل يصدق على الفخر الجاهلي والوصف والهجاء والحكمة .

---

(١) المزهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : العود الذي يعزف عليه .

فليس من الضروري مثلا ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ، وماءُ البحر نملأُه سفينا

صحيحاً (ونحن نعلم انه غير صحيح) ولكن المهم ان عمراً كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو .

(ب) النزعة الوُجدانية — والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الاولى ، يصف نفس قائله وشعوره . حتى ان الشاعر القديم كان اذا عرض « لبحثٍ موضوعي واقعي » ، كوصف الصيد والحرب او كالحكمة والرثاء ، لوّنه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً . قال زهير :

ألا ابلغِ الاحلاف « عَني » رسالة وذبيان : هل اقسمتُم كل مُقسَمِ ؟
فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ، ومهما يُكتمِ اللهَ يعلمِ
وما الحرب الا ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المُرَجمِ !

ولذلك كان الشعر الجاهلي شعر انشادي (غنائي) يلقيه الشاعر على لحن الربابة ولا نزال نحن الى اليوم نقول انشد الشعر اي قرأه .

(ج) البساطة — ان الحياة الفطرية والبدوية والقِدمَ في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة ، كذلك كانت البيئة الجاهلية ، وكذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .

جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد والمعاصاة في ما شعر به . واذا كنا نرى عند الشاعر الجاهلي شيئاً من المبالغة فلأن حياة الفروسية وضرورة اعتماد الفرد على نفسه تبعثان الزهو في الفرد ، ولم يشذ الجاهلي عن هذه القاعدة . قال عنترة :

اذ يتقون بيَ الاسنَّة لم اخِمْ عنها ، ولكني تضايق مُقدَميْ

فجعل جميع قومه الذين يحاربون في المعركة يحتمون به ويتدارَوْن بظهره .

على ان الطبع والسجية والبساطة والصدق ايضاً تتمثل كلها في قول عنترة يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي ،
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(د) القول الجامع — كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه شعر « وجداني » ، من اجل ذلك كان معرضاً للآراء المفردة اكثر منه معالجةً مستفيضة لشؤون الحياة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً الى استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة ، وحتى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك. فاذا راجعت ابيات زهير التي استشهدنا بها على «النزعة الوجدانية » تبين لك انه تضم سبع معانٍ او سبع جمل تامة المعاني . وحسبك من ذلك انهم اعجبوا بقول امرىء القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزِل بسقط اللوى بين الدَخول فحَومل

وقالوا : انه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد!

وهكذا ترى ان الشاعر القديم لم يكن يحمل معنىً من بيت الى البيت الذي يليه الا في النادر . اما استمرار التركيب الواحد من بيت الى بيت فقد كان من عيوب الشعر . وهكذا كان بالامكان تبدل بعض مراكز الابيات في القصيدة من غير ان يتبدل المعنى الاساسي فيها كما ترى في حكم زهير مثلا .

(ه) الاطالة والاستطراد — وكان يُحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون «طويل النفَس» اي انه يطيل القصائد. فاذا ذكرنا انه كان ميالا الى ذكر الآراء المفردة والقول الجامع، لم نستغرب ان يخرج الشاعر احياناً عن الموضوع الاساسي الى موضوعات تتعلق به من قرب او من بعد ، وهذا ما يُسمى الاستطراد . وربما استطرد الشاعر الى موضوع ثم عاد الى ما كان في الكلام عليه ، وربما استطرد فلم يعد .

وقد أُثِر عن الجاهلية مقطعات قيل ان اكثرها كان في الاصل قصائد طوالاً ثم نُسي بعضها . ومع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءً فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل الى اطالة القصائد .

(و) الخيال — واذا كان اتساع افق الصحراء قد ادى الى اتساع خيال الشاعر الجاهلي، فان هذا الخيال كان فطرياً بسيطاً كبيئته ، ولعلك لا تستغرب اذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحَضر كالاعشى وامرىء القيس والنابغة كانوا في خيالهم اوسع واعمق وادق كما ترى في خاتمة معلقة امرىء القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .

ولا ريب في ان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابيه والاستعارات اكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة .

وكذلك ذكر بعض المتأدبين ان خيال الجاهليين كان خشناً وان بعض معانيهم كانت نابية كبعض غزل امرىء القيس وكوصف الشنفرى لنفسه وكذكر القتال والثأر وبعض المديح والهجاء . ولكن يجب ان نذكر ان هذه الخشونة كانت صورة لبيئتهم ، واننا نحن اليوم نراها خشنة بالاضافة الى لين الحضارة الذي الفناه . ان هذه الخشونة موجودة ولكنّ لها عذراً من بيئة الشاعر وشظف عيشه احياناً .

ثانياً ـ الخصائص اللفظية :

(أ) غرابة الالفاظ وجزالتها ـ اذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في اكثره على « كلمات غريبة » اي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . ويجب ان نشير الى ان هذه الكلمات كانت يومذاك « فصيحة » اي مأنوسة مألوفة ، ذلك لان ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الابل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والابل مألوفة عنده ، ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها وعلى اوجهها وادواتها وآلاتها ـ على ما ترى في وصف طرفة للناقة في معلقته . على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رِئال (النعام) وقد تكون وَحْشية او حوشية مستكرهة في اللفظ نحو بُعاق (مطر) .

وكان الشاعر الجاهلي حريصاً على ان يستعمل الكلمة « الجَزْلة » اي التي تقع في موقعها وتدل على المعنى المقصود بها من غير استعانة بالفاظ أُخَرَ نحو « قِلتُ » (بكسر القاف) ومعناها « نمت بعد الظهر » فكلمة قِلت في هذا الموضع جزلة ، اما كلمة نمت في هذا الموضع فليست جزلة لانها لم تؤد المعنى الذي قصدناه الا بعد ان زدنا عليها كلمتين أُخريين .

(ب) متانة التركيب وبلاغة الاداء ـ والتركيب في الشعر الجاهلي متين ، اي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية ، لا ضعفَ فيه من تقديم لفظ في غير محله او تأخير لفظة الى غير مكانها الذي تنص عليه اساليب العرب ، او زيادة حشو لا فائدة فيه او حذفٍ لغير سبب نحوي .

وكذلك تراكيبه بليغة ، اي تؤدي المعاني المقصودة منها في الاحوال المناسبة اما حقيقةً واما مجازاً بتشابيه واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزاً ، من غير تأثر بعجمة او لحن عامي . وقد تجد في الشعر الجاهلي بضعة الفاظ من الجناس والطباق ولكنها كلها غير مقصودة وانما وقعت هنالك اتفاقاً ، ولعل شاعرها لم يفطن اليها .

(ج) العناية والتنقيح — وبما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه ، فانه لم يتكلف عادة العناية بما نظمه بل كان يلقيه الى الناس كما يخطر له ويدور في خياله .

الا ان هنالك نفراً كانوا يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح ، وقد سماهم رواة الادب « عبيدَ الشعر » لانهم يتكلفون اصلاحه (بعد نظمه) ويَشغَلون به حواسهم وخواطرهم. وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيراً والحطيئة وطُفيلا الغَنَوي ، واشتهر من بينهم زهير بقصائده « الحوليات » اي التي كان يقضي حَولاً (عاماً) كاملاً في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النَقَدة .

اغراض الشعر وفنونه الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عَرَضاً في قصيدته ، وهي عادة « امور ممهدة » للفن (الغرض الرئيسي) الذي يرمي اليه الشاعر . ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين. واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

١ — وصف الاطلال — يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد اهلها قد ترحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه فيقف على طَلَل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق اليها .

٢ — وصف الراحلة — وكذلك يصف الشاعر الراحلة او المطيّة (الناقة او الفرس) التي يركبها للوصول الى الحبيبة او الى الممدوح ...

٣ — وصف الصيد — وتصيد الجاهلي لسببين: اما طلباً للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب ، او طلباً للهو كما كان يفعل امرؤ القيس او لانه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون الى الصيد كالنابغة .

٤ - وصف الطبيعة - ويصف الشاعر عادة ما يراه في اثناء رحلته من صحراء او اودية او مطر او نهر او رياح .

٥ - الحماسة - وهي وصف المعارك او الفخر .

٦ - الحكمة - وهي ذكر آراء صائبة في الحياة والموت والظلم واللهو والسعي وما اليها .

❀

واما الفن فهو «موضوع» مقصور لذاته يعالجه الشاعر بتوسع وقد يَقْصُر عليه القصيدة كلها او اكثرها . وبكلمة اوضح : ان الغرض اذا تطور واتسع اصبح فناً . فالغزل مثلا «غرض» اذا كان في ابيات قلائل في مطلع قصيدة في المديح مثلا ، ولكنه فن اذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامة او شبه تامة . وقد نسميه ايضاً باباً من ابواب الشعر . اما الفنون الجاهلية او ابواب الشعر الجاهلي فاشهرها وابرزها :

١ً . الحماسة - الحماسة هي الفخر بالنفس وبالقبيلة وخصوصاً فيما يتعلق بالحرب والقتال .

٢ً . المديح ثم الاعتذار والعتاب كما نرى في شعر النابغة خاصة .

٣ً . الرثاء .

٤ً . الهجاء الشخصي في النادر والقبَلي في الاكثر - وكان الشاعر الجاهلي يهجو خصمه بالصفات الخُلقية المذمومة كالبخل والجبن والسوء والتقاعس عن النجدة ، وربما تعرض للعيوب الجسدية كالعَور والعرج الخ...

٥ً . النسيب والغزل (١) - وكلاهما كان يدور حول المرأة ويجري في لفظ مؤنث ولكن اتفق ان طرفة تغزل بانثى ولكن في لفظ مذكر فقال :

وفي الحي احوى ينفض المَرْد شادن مظاهرُ سِمطيْ لؤلؤٍ وزبرجد

الا ان هذا نادر ، والمقصود به انثى لا شك في ذلك .

---

(١) راجع الفرق بينهما في «ابونواس» للدكتور عمر فروخ «الجزء الاول» الطبعة الثانية ص ٤٩ .

شكل القصيدة الجاهلية اذا راجعنا القصائد الجاهلية الطوال ، والمعلقات منها على الاخص نرى ان الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص يبدأون عادة بذكر الاطلال (وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلا بوصف الخمر) ثم بذكر الحبيبة ، ثم ينتقل الى وصف الراحلة ثم الى الطريق التي يسلكها . بعدئذ يخلص الى المديح مثلا او الفخر (اذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة) . وقد يعود الى الحبيبة ثم الى الخمرة وبعدئذ ينتهي بالحماسة (او الفخر) او بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) او من الوصف (كما عند امرىء القيس).

ويجدر بالملاحظة ان في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة ، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرىء القيس ، والحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير ، والاعتذار عند النابغة) .

الشعراء الخمسة

وسنتناول الكلام في هذه الدراسة على خمسة من شعراء الجاهلية اصحاب المعلقات مع ذكر معلقاتهم كاملة قدر الامكان وشيء من سائر شعر النابغة .

امرؤ القيس بن حجر الكندي

توفي نحو عام ٨٢ قبل الهجرة ٥٤٠م

قومه واسرته يرقى نسب حُندُج بن حجر ، المعروف بلقبة : امرىء القيس ، الى بني كِنْدة من اليمن . وكان جَدّه الاعلى حُجرٌ آكلُ المرار اولَ ملوك كندة فيما قيل . وفي اوائل النصف الاول من القرن الخامس للميلاد زاد ضعف بعض القبائل في شمالي بلاد العرب فاستطاع الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ان يتغلب عليها و مَلَكَ على بني اسد وبني غطفان (عبس وذبيان) وبكر بن وائل وغيرهم . ونحو عام ١٢٢ ق . هـ (٥٠٠ م) قسم الحارث القبائل التي يحكمها بين اولاده واعطى حُجراً (والد امرىء القيس) الحكم على بني اسد في نجد .

حياته الاولى امرؤ القيس يمني الدار ولكنه نزاري المنشأ ،نشأ في نجد اميراً والف التنقل في احياء العرب مع نفر من اصحابه واترابه للصيد واللهو ، ولعله فعل ذلك لانه كان اصغر اخوته ولم يكن يطمع في نيل الملك بعد ابيه. ويذكرون ان اباه طرده من بيته لانه كان يقول الشعر ولانه كان ميالا الى القصف والفسق . على ان اهتمامه فيما بعد باخذ ثأر ابيه واعادة الملك الى اسرته ينفي ان يكون امرؤ القيس خليعاً ماجناً فاسداً كما تصوره بعض الروايات الادبية ، مع ان لهو الامراء امر غير مستغرب لا في الجاهلية ولا في غيرها .

مقتل حجر ويظهر انه بُعَيْد عام ٩٢ ق . هـ (٥٣٠ م) عاد شيء من القوة الى بني اسد فابوا ان يستقر حكم حجر الكندي اليمني عليهم واعلنوا اباءهم هذا بالامتناع عن اداء الاموال (الضرائب) واستعدوا للقتال فيما لو احتاجوا اليه . فلما ابى بنو اسد دفع

الاموال اساء حجر اليهم فقتل نفراً من رؤسائهم وشرّد قسما منهم عن نجد الى تهامة (على ساحل البحر الاحمر) ، ولكنه عاد فعفا عنهم لما استشفعه شاعرهم عبيد بن الابرص . فلما رجع المشردون (بعد بضعه ايام) انضموا الى اخوانهم وحاربوا حجراً بقيادة علباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه . ولا ريب في ان ابناء حجر كانوا معه في المعركة وفروا ، ولعل امرأ القيس نفسه كان في المعركة ايضاً ثم فر لقول عبيد بن الابرص يخاطبه :

* ولقد انجا ما حميتَ ولا منيحَ لما حمينا
هذا ولو قدرت عليـ ـك رماح قومي ما انتهينا
* وركضك لولاه لقيت الذي لقُوا فذاك الذي انجاك مما هنالكا

اما الروايات التي تذكر ان امرأ القيس كان يشرب الخمر بدمّونَ ثم جاءه نعي ابيه فليست تتسق والشطر الثاني من حياته .

حياته بعد مقتل ابيه : عزم امرؤ القيس على الاخذ بثأر ابيه فجعل يطوف في احياء العرب يطلب مساعدتهم فأبوا ان يعينوه فالتجأ الى اخويه شرحبيل وسلمة — وكان ابوهما حجراً قد ولاهما على بكر وتغلب — فأعطياه قوماً يدرك بهم بعض ثاره . تتبع امرؤ القيس اثر بني اسد وقاتلهم يوماً او بعض يوم ولكنه لم يظفر عليهم ، واعتقد من معه انه بقتل نفر من بني اسد قد اخذ بثأر ابيه فرجعوا عنه ولم يرضوا ان يخوضوا معارك جديدة .

وخرج امرؤ القيس يطلب النجدة من اليمن (من موطنه الاول) فلم يظفر الا بخمسمائة رجل حارب بهم بني اسد من جديد ، ولكن ذلك لم يكن كافياً لاعادة الملك الى اسرته . وظل امرؤ القيس يطلب الجيوش والمساعدة من هنا ومن هنالك فيخيب ، او يتعرض لعداوة الامراء الطامعين في ملك ابيه فينجو منهم بشق النفس حتى عام ٨٠ ق.ه ٥٣٨١م). فعزم على المسير الى القسطنطينية بعد ان حمل من الحارث بن ابي شمر الغساني كتاب توصية الى القيصر يوستينيانوس الاول (٥٢٧ — ٥٦٥ م) المشهور واضع القانون الروماني وصاحب المعارك مع الفرس . ولقد اراد يوستينيانوس — فيما قيل — ان يساعد امرىء القيس استغلالا لجهوده وجهود قومه في سبيل مقاومة الفرس ونفوذهم في بلاد العرب

وعلى حدود بلاد العرب. الا ان البرابرة كانوا في ذلك الحين ينحدرون من شمالي اوروبة على جنوبها وجنوبها الشرقي على الاخص ويهدمون مدنها ويحتلون اقطارها فلم يقدر يوستينيانوس ان يغرر بجيش كبير لحاجته اليه ولا بجيش صغير لا فائدة منه . فرجع امرؤ القيس من القسطنطينية خائباً ايضاً حوالي عام ٨٢ ق.ه (٥٤٠ م) في الشتاء على الاغلب فلما وصل الى قرب انقرة اصيب بالجدري فيما يُظن فتوفي هنالك .

اما ان امرأ القيس تغزل بابنة يوستينيانوس واتصل بها فخيّبه ابوها من اجل ذلك فرواية لا قيمة لنتائجها اذا علمنا فساد البلاط البوزنطي في ذلك الحين. واما ان رجلا اسمه الطماح وشى به لقيصر فرواية اخرى . ويجدر بنا ان نعلم ان « الطماح » ليس اسماً علماً على شخص في الاغلب ، بل صيغة مبالغة من «طمح»، وهو هنا كناية عن رجل عدو لامرىء القيس .

شعره : يقدم النقاد امرأ القيس على سائر شعراء الجاهلية خاصة وعلى الشعراء جميعهم عامة ، ويحتجون لذلك بانه اول من وقف على الاطلال واول من شبه النساءَ بالظباءِ والخيلَ بالعِقبانِ ... وانه اول من وصف الليل وقيّد الاوابد في قوله : « بمنجرد (بحصان) قيد الاوابد هيكل » لان الاوابد حيوانات متوحشة لا تربط بقيد ... ، او نظم في الصيد .

والحق ان امرأ القيس ليس اقدم الشعراء بل هنالك نفر معاصرون له او سابقون عليه نعرفهم باسمائهم فقط لضياع شعرهم او نعرف اشعارهم ايضاً . ولكنّ امرأ القيس نال شهرة عند النقاد والرواة لما في ثنايا حياته من المغامرات في الحب والسفر والقتال ، فغطت شهرته على معاصريه وعلى اسلافه في الشعر . على اننا لو رَجعنا البصرَ في ديوانه لتبين لنا ان فيه خصائص ذاتية تميز امرأ القيس من اقرانه وانداده. فاذا تجاوزنا الخصائص العامة التي امتاز بها الشعر الجاهلي عامة ، على ما مر بك في الفصل السابق ، ادركت ان امرأ القيس :

١) شاعر واسع الخيال ـ يعرض لحديث عُنيزةَ مثلا فيستخرج منه قصة عذبة التلاوة جيدة الاتساق غريبة النتائج ، او لحديث الصيد فيجعل منه قصة تامة . ثم ان امرأ القيس

تمرس بالاسفار وتقلب في النعيم ففتق ذاك قريحته عن اخيلة جديدة في كل فن طرقه، وساعده ذلك على الاجادة وعلى بروز العنصر الشخصي في شعره .

٢) شاعر مرح — فهو شاعر يفيض شعره باصناف السرور وألوان الفرح فيستهوي النفوس ويجتذبها . والبشر عموماً اميل الى الرجل الطروب منهم الى الرجل الحزين .

٣) شاعر وجداني خالص — وزاد في رغبة الناس في شعر امرىء القيس انه خال من المنافسات ومن الهجاء والمديح وانه مملوء بالنسيب والغزل والاوصاف وذكر المغامرات مما يقربه الى النفس الانسانية في كل عصر. ان اللذة الناتجة من مطالعة المدائح والاهاجي — بما هي مدائحُ واهاجٍ — تموت مع ذهاب المناسبات الخاصة، واما حديث الغزل واما الوصف واما المغامرات الكبرى في حياة الانسان فتظل حية في نفوس الاجيال . من اجل ذلك فضل الناس امرأ القيس على غيره .

فنونه : يختلف ديوان امرىء القيس من دواوين كثيرين من الشعراء في انه لا ينطوي على جميع فنون الشعر، فالمديحَ والهجاء فيه مفقودان لان مقام امرىء القيس في الملك رفعه عن ان يمدح احداً او ان يهجوه . ولكننا نرى له ابيات شكر مثلا او ابيات ذم قالها في اناس ساعدوه على الطلب بدم ابيه او رفضوا مساعدته، كشكره بني عوف لان سيدهم عويراً قد حمى اهل حُجر وابلغهم مأمنهم في نجران فقال امرؤ القيس فيه وفي قومه:

ثياب بني عوف طَهارى نقيـة واوجههم عند المشاهد غُرّانُ

هم بلّغوا الحيّ المضلّلَ اهلَه وساروا بهم بين العراق ونجرانِ،
فقد اصبحوا ، والله اصفاهمُ به ابرَّ بأيمان واوفى بجيران .

والفرق بين الشكر والمديح ان الشاكر يثني على المشكور بعد ان يكون المشكور قد اسدى اليه بعض المعروف ، اما المدح فهو ان يثني المادح على الممدوح طمعاً بكسب وانتظاراً لمعروفٍ . وكذلك شكر امرؤ القيس بني التيم رهط المعلى، وشكر سعد بن الضباب .

وكذلك ليس في ديوان امرىء القيس رثاء بالمعنى المتعارف بين الشعراء الا اذا

اعتبرنا رثاءه لاخوته الذين قتلهم المنذر بن ماء السماء في ديار مَرِينا قرب الكوفة ، وفيهم يقول :

ألا يا عينُ بكّي لي شنينا ... وبكّي لي الملوكَ الذاهبينا :
ملوكاً من بني حُجر بن عمرو ... يُساقون العشيةَ يُقتلونا .
فلو في يوم معركة اصيبوا ، ... ولكن في ديار بني مرينا !

اما ما يستلفت النظر خاصة في ديوان امرىء القيس فهو وصف المرأة (النسيب والغزل والمجون) ووصف الطبيعة (الليل والسيل والخيل والصيد) وانت واجدٌ ذلك كله في معلقته . وله وصف قليل في الخمر وابيات معدودات في الحكم والفخر وغيره :

* وقد طوّفتُ بالآفاق حتى ... رضِيتُ من الغنيمة بالاياب .
* بكى صاحبي لما رأى الدرب(١) دونه ... وايقن أنّا لاحقان بقيصرا ،
فقلت له لا تبكِ عينك ، انما ... نحاولُ مُلكاً او نموتَ فنعذرا !

معلقة امرىء القيس*

ان غرض امرىء القيس الرئيسي من نظم المعلقة كان ذكر حبه لابنة عمه ، وهو يُكنّي عنها مرة بعُنيزة ومرة بفاطمة، ويذكر يوم دارة جلجل يوم ادرك شاعرنا ابنة عمه وصواحبها يغتسلن في غدير هنالك فجمع ثيابهن وجلس عليها ثم قال لهن: لن اعطي احدا كن ثيابها الا اذا جاءت الي فأخذتها مني . وقد فعلن كلهن بمشيئة امرىء القيس الا « عنيزة » فقد ترددت طويلا ثم لما ادركها المساء اضطرت الى ان تفعل مثل ما فعلت صواحبها . حينئذ ذبح امرؤ القيس مطيته للعذارى . ولما اردف الرحيل ركب امرؤ القيس في هودج عنيزة .

وفي اثناء ذلك كله يعرض الشاعر لاغراض مختلفة :

---

(١) مضيق بيلان ، الممر الوحيد بين سورية وآسية الصغرى .

(*) ان من يتناول هذه الدراسة يجب ان يكون قد بلغ في اللغة والادب مبلغ من يعرف اكثر مفردات المعلقات ، من اجل ذلك سنكتفي بالضروري من الشرح وسنضرب عن شرح اسماء الامكنة والاشخاص لقلة الجدوى من ذلك .

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيب ومنزِلِ بسقط اللوى بين الدَخول فحَومَل ،
فتُوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمها لما نسَجَتْها من جَنوب وشمأل (١) .
ترى بعَر الآرام في عرَصاتها وقيعانها كأنه حبّ فُلفل (٢) .
كأني غداة البَين يوم تحمّلوا لدى سَمُرات الحيّ ناقف حنظل (٣) .
وقوفاً بها صَحبي عليّ مطيّهم (٤) يقولون : لا تهلِك اسى وتجمّل !
وان شِفائي عَبرة مُهَراقة ، فهل عند رسم دارس من معوّل (٥) ؟
كدأبك (٦) من أمّ الحُوَيرث قبلها ، وجارتها امّ الرَباب بمأسلِ ،
اذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيمَ الصَبا جاءت بريّا القَرنفُلِ
ففاضت دموع العين مني صَبابةً على النحر ، حتى بل دمعيَ مِحمَلي (٧).
الا رُبّ يومٍ لك منهن صالح ، ولا سيما يوم بِدارةِ جُلجُل ،
ويومَ عقرت للعذارى مطيّتي ، فيا عجَباً من رَحلها المتحمّل (٨) ،
فظلّ العذارى يرتمِين بلحمها وشحم كهُدّاب الدِمَقس المفتّل (٩) .

---

(١) الجنوب والشمأل : ريح الجنوب والشمال ، نسجته : نشرت الرمل — ان الريح تأتي مرة من الجنوب فتغطي الطلل ، وتأتي مرة من الشمال فتكشف عنه الرمل ، ولذلك لا يزال هذا الطلل محفوظاً . (٢) الآرام جمع رئم : الظبي الابيض ، العرصة : الساحة ، القاع : مستنقع الماء ، الفلفل : ثمر نبات صغير مستدير (غير الفليفلة عندنا) . (٣) — في اليوم التالي لارتحالهم وقفت تحت شجرات هناك اتأمل اماكنهم المهجورة وانا ابكي (الذي يكسر الحنظل تتعرض عيناه للغاز المتصاعد منه فتدمعان) . (٤) ان رفاقي زجروا مطاياهم فوقفت عن المسير وجعلوا يلومونني. مطيهم مفعول به من المصدر «وقوفاً» . (٥) — انني اشفي نفسي ببكائي ، ولكن ما فائدة البكاء عند الآثار الممحوة؟ (٦) عادتك (٧) الصبابة . الحب ، النحر : اعلى الصدر ، محمل : سير (من جلد) يحمل به السيف . (٨) اعجب كيف ان الناقة التي حملتني في المجيء يُحمل سرجها الآن على ناقة اخرى (لانه ذبحها) . (٩) يرتمين : يناول بعضهن بعضاً ، الهداب جمع هدب : الخيوط المتدلاة من اطراف بعض المنسوجات ، الدمقس : الحرير الابيض .

ويومَ دخلت الخِدر خدرَ عنيزة ، فقالت : لك الويلات انك مُرجلي (١) .
تقول ، وقد مال الغبيط (٢) بنا معاً : عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزِل !
فقلت لها : سيري وأرخي زِمامهُ ، ولا تُبعديني من جَناك المعلل (٣).
أفاطمَ ، مهلًا بعضَ هذا التدلل ، وان كنت قد ازمعت صَرمي فاجملي(٤)!
وان تكُ قد ساءتك مني خليقةٌ فسُلي ثيابي من ثيابك تنسُل (٥) .
أغرك مني انّ حبّك قاتلي ، وانك مهما تأمري القلب يفعل ؟
وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتّل (٦) !
وبيضةِ خدر لا يُرام خباؤها تمتّعتُ من لهو بها غيرَ مُعجَل (٧) ،
تجاوزت احراساً اليها ومعشراً عليّ حِراصاً ، لو يسرون مَقتلي (٨) ،
اذا ما الثُريّا في السّماء تعرّضت تعرّضَ اثناء الوِشاح المُفصّل (٩) ،
فجئت ، وقد نَضَتْ لنوم ثيابها لدى الستر الا لِبسة المتفضّل (١٠) ،
فقالت : يمينُ الله ، ما لك حيلة ، وما إنْ ارى عنك الغَواية تنجلي !

---

(١) الخدر الهودج ، مرجلي : اي ستضطرني الى ان انزل وامشي على رجليّ .
(٢) الهودج (٣) الزمام : اللجام ، جناك المعلل : قبلاتك التي يستشفى بها .
(٤) ـ يكفيك بعض هذا الدلال علي ، وان كنت تحبين فراقي ففارقيني بالمعروف .
(٥) واذا كنت لا ترضي اخلاقي (ومعاملتي لك)فافصلي ثيابك عن ثيابي(اي اتركيني).
(٦) لقد بكيت حتى تكسري قلبي الولهان بك . (٧) بيضة خدر : مصونة ،لا ينال خباؤها : لا يمكن الوصول اليه ، غير معجل : على مهل . (٨) قطعت في الوصول اليها حراساً واناساً يريدون ان يقتلوني (لغيظهم مني) لو كانوا يستطيعون الا يدعوا احداً يدري بذلك. (٩) الثريا: عنقود نجوم، الوشاح: ما تلقيه المرأة على كتفيها،المفصل: المزخرف بالحجارة الكريمة ـ ويكون تعرض الثريا في كبد السماء في اول فصل الشتاء وهذا ما يفسر لنا شكوى الشاعر من طول الليل ووصفه للمطر الشديد والبرق... (١٠) نضت : خلعت ، الستر: ستار تنام المرأة خلفه ، المتفضل : الذي يلبس ثوباً واحداً خفيفاً للنوم او للعمل .

خرجت بها أمشي ، تجُرّ وراءَنا ... على أثرينا ذيلَ مِرط مرحّل (١) .
فلما أجَزْنا ساحة الحيّ ، وانتحى ... بنا بطن خَبت ذي قِفاف عقَنْقَل (٢) ،
هصرت بفَودَيْ رأسها ، فتمايلت ... عليّ هضيمَ الكَشح ريّا المخلخَلِ (٣) ،
مُهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضة ... ترائبها مصقولة كالسَّجَنجَلِ (٤) .
تصُدّ وتُبدي عن أسيل ، وتتّقي ... بناظرة من وحش وَجرةَ مُطفِل (٥) .
وجيدٍ كجيد الرئم ليس بفاحش ... اذا هي نصّتهُ ، ولا بمُعطّل (٦) ،
وفَرع يزين المَتن أسودَ فاحمٍ ... أثيث كقِنْوِ النخلة المُتعثكل (٧) ،
غدائرهُ مُستشزِرات الى العُلا ... تضِلّ العِقاصُ في مثنّى ومُرسل (٨) ،
وكشحٍ لطيف كالجديل مُخصّر ... وساق كأنبوب السقيّ المُذلّل (٩) ،
ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ... نَؤومَ الضُحى لم تنتطق عن تَفضّل (١٠) ،
وتعطو برَخص غيرِ شَثْن كأنه ... أساريع ظبيٍ او مَساويك إسحلِ (١١) .

---

(١) مرط : ثوب حرير ، مرحل : فيه وشي وصور . ـ حمل الشاعر حبيبته بين يديه ولكنه ترك ذيل ثوبها يجر على الارض ليمحو آثار اقدامه . (٢) ـ حتى اصبح بيننا وبين الحي آكام مرتفعة متعرجة متداخلة . (٣) هصر : جذب ، الفود : جانب الرأس ، هضيم الكشح : ضامر الخصر ، ريا المخلخل : لينة حيث تلبس الخلخال عند ادنى ساقها . (٤) مهفهفة : خفيفة اللحم ، مفاضة : مسترخية الجلد او العضل ، ترائب جمع تريبة : جانب صدر المرأة ، السنجنجل : المرآة . (٥) تصد وتبدي : تعرض عنا وتلتفت الينا ، اسيل : (خد) طويل ، ناظرة : عين ، مطفل : ذات طفل ـ تنظر شزراً كما تنظر ام الوحش الى الذين تخافهم على اولادها . (٦) جيد : عنق ، فاحش : كريه المنظر (او كثير الطول) ، نص : رفع ، معطل : خال من الحلى . (٧) فرع : شعر ، المتن : الظهر ، اثيث : كثيف ، قنو : العذق الذي ينمو عليه الرطب (التمر) ، المتعثكل : المتداخل بعضه في بعض . (٨) مستشزر : مرتفع : العقاص : الامشاط ، مثنى ومرسل : مجدول وغير مجدول . (٩) انبوب السقي المذلل : ساق البردي (قصب الماء) اللين . (١٠) نؤوم الضحى : تنام حتى يرتفع النهار ، تنتطق : تلبس ازار العمل ، ـ منعمة لا تخدم نفسها . (١١) عطا : مد ، رخص : (اصابع) لينة ،

تُضيء الظلام بالعِشاء كأنها مَنارة مُمسى راهب مُتبتّل (١) .
الى مثلها يرنو الحليم صبابة اذا ما اسبكرّت بين درع ومِجوَل (٢)،
كبكر المُقاناة البَياضَ بُصفرة غَذاها غير الماء غيرَ المُحلّل (٣) ،
تسلّت عمايات (٤) الرجال عن الصِّبا وليس فؤادي عن هواه بمُنسَل !
ألا ربّ خصم فيكِ ألوى ، رددته ، نصيحٍ على تعذاله غيرِ مؤتَل (٥) .
وليل كموج البحر مُرخٍ سُدولَه عليّ بانواع الهموم ليبتلي (٦) ،
فقلتُ لهُ ، لما تمطّى بصلبه واردف أعجازاً وناءَ بكلكل (٧) :
ألا ايها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبح، وما الاصباح منك بأمثل (٨) .
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شُدّت بيَذبُل (٩) ،

شثن : غليظة ، اساريع : دود ابيض احمر الرأس (اشارة الى ان اظافرها معنّمة اي ملونة بالحمرة) ، ظبي : اسم مكان ، المسواك : قطعة من غصن يُستاك (تنظف الاسنان) بها ، اسحل : نوع من الشجر . (١) ممسى مبيت ، المتبتل : المنفرد عن الناس والمتعبد . (٢) رنا : ادام النظر ، الحليم : ذو الحلم (العقل) ، اسبكرت : استقامت في مشيتها ، درع ومجول : ثوبان للمرأة والفتاة ـ يقصد ان محبوبته ليست صغيرة السن ولا كبيرة السن . (٣) لونها ابيض تخالطه صفرة (وهذا من شروط الجمال) مثل بيض النعام ، غير : صاف ، محلل : ينزل عليه اناس كثيرون . (٤) العماية : الجهالة . (٥) ألوى : شديد ، نصيح على تعذاله : مشتد في لومه اياي ، مؤتل : مقصر ـ رب خصم يلومني فيك كثيراً ، فاذا وصفتك امامه عاد عن لومه اياي . (٦) كموج البحر : مضطرب ، سدول : ستائر ، ابتلاه : اختبره وجربه . (٧) تمطى بصلبه : مد ظهره ، الاعجاز : جمع عَجز (بفتح العين وضم الجيم) : مؤخر الجسم ، الكلكل : الصدر ـ يشبه نزول الليل ببروك البعير يسقط اولا على يديه ثم يثبت عجزه على الارض وبعدئذ يكمل بروكه بوضع صدره على الارض ـ يقصد ان الليل يأتي ببطء . (٨) انجلى الليل : ذهب ، امثل : احسن . (٩) مغار الفتل : محكم الفتل ، يذبل : اسم جبل ـ كأن النجوم مربوطة بحبال فهي لا تتحرك من اماكنها ، اشارة الى طول الليل .

كأن الثريّا عُلِّقت في مَصامها بأمراس كتّان الى صُمّ جَندَل(١).
وقربة اقوام جعلت عِصامها على كاهل مني ذَلول مُرحّل (٢).
وواد كجوف العَير قفرٍ قطعته ، به الذئب يعوي كالخليع المُعيّل (٣) ،
فقلت له ، لما عوى : ان شأننا قليل الغِنى ، ان كنتَ لما تَموّل (٤).
كلانا اذا ما قال شيئاً أفاته ، ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٥).
وقد اغتدي ، والطير في وُكناتها ، بمُنجرد قَيد الاوابد هيكلِ (٦) ،
مِكَرّ مِفَرّ مُقبل مُدبر معاً ، كجُلمود صخر حطه السّيل من علِ (٧)،
كُميتٍ يَزِلّ اللِبد عن حال مَتنه كما زلت الصّفواء بالمتنزّلِ (٨).
على الذَبْل جيّاشٍ كأن اهتزامه اذا جاش فيه حَميُهُ غَلي مِرجَلِ (٩).
مِسَحّ اذا ما السابحات على الوَنى أثرنَ غُباراً كالكَديد المركلِ (١٠).

---

(١) في مصامها : في موضعها ، صم جندل : حجارة صلبة .
(٢) ـ كم حملت لرفاقي قربة الماء على كتفي، ذلول مرحل : معود على الحمل كثيراً ، العصام : الرباط او الحبل . (٣) جوف العير : بطن الحمار ، اي لا فائدة منه ، وقيل هو اسم واد ، الخليع : الذي خلعه (طرده) اهله ، المعيل : صاحب العيال . (٤) الغنى : الفائدة ، تمول: تكسب مالا . (٥) يحترث : يعمل (مثلي ومثلك)، يهزل : يصبح هزيلا. ويقال ان هذه البيوت الاربعة ليست لامرىء القيس . (٦) اغتدى : خرج في الصباح ، الوكنة : وكر الطائر ، منجرد : (حصان) قليل الشعر ، قيد الاوابد : يلحق الوحوش كأنها مقيدة به . هيكل : عظيم الجسم . (٧) مكر مفر : كثير الهجوم والرجوع ، مقبل مدبر : حسن الركض ذاهباً وآيباً ، وهو لسرعته كالصخرة الصلبة التي يلقيها السيل من مكان مرتفع . (٨) كميت : احمر مائل الى السواد ، حال متنه : اعلى ظهره ، الصفواء : الصخرة الملساء ، المتنزل : المطر ـ ان ظهر الحصان لملاسته يزلق عند السرج. (٩) الذبل : الهزال ، جياش : كثير الضبح (صوت بطن الحصان) ، اهتزامه : ضبحه ، حميه : غليه (اشتداد سرعته) ، مرجل : قدر عظيمة . (١٠) مسح : يركض بانطلاق وسهولة ، السابحات : جياد الخيل ، الونى : الفتور والتعب ، الكديد المركل : الارض

يُزِلَ الغلامَ الخِفَّ عن صهواته ويُلوي بأثواب العنيف المثقّلِ (١) .
دَرِيرٍ كخذروف الوليد امرّه تتابعُ كفّيه بخيط مُوصّلِ (٢) .
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سَرحان وتقريب تَتفُلِ (٣) .
ضليعٍ ، اذا استدبرته سدّ فرجَه بضافٍ فُويقَ الارض ليس بأعزلِ (٤) .
كأن على المتنين منه اذا انتحى مَداكَ عروس او صَلاية حنظل (٥) .
كأن دماء الهاديات بنحره عُصارةُ حِناء بشَيب مُرجّل (٦) .
فعنّ لنا سِرب كأن نِعاجه عذارى دَوارٍ في مُلاء مذيّل (٧) ،

الصلبة — اذا تعبت الجياد الاصيلة من الجري وجعلت تضرب بقوائمها الارض من غير ان تسرع في جريها ، فان هذا الحصان يظل يجري بالسرعة التي كان يجري بها من قبل . (١) — سرعة هذا الحصان تجعل الغلام الخفيف ينزلق عن ظهره فيقع ، اما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره ولكن اطراف اثوابه ترتفع في الهواء . (٢) درير : شديد الجري ، الخذروف : لعبة تتألف من جسم صغير مستدير له عنق يلف عليه خيط وفي العنق حلقة يمسك بها الوليد (الصبي) ويجذب الخيط فتدور بسرعة ويسمع لها صوت ، موصل : مؤلف من قطع موصول ما بينها بعقد . (٣) ايطل : خصر ، ارخاء : الجري السهل ، سرحان : ذئب ، تقريب : جري يرفع اليدين معاً (قفزاً) ، تتفل : ولد الثعلب — يصف فرسه باحسن ما في هذه الحيوانات . (٤) ضليع : عظيم الصدر (متسع الاضلاع) ، اذا رأيته من خلفه رأيت ذيله يسد ما بين فخذيه ثم يطول حتى يصل الى ما فوق الارض بقليل ، اعزل : مائل ، والعرب تحب ذنب الفرس اذا كان مستقيما غير مائل . (٥) المتنان : جانبا الظهر ، مداك : حجر يسحق عليه الطيب ، الصلاية : صخر يسحق عليه الحنظل — يقصد ان ظهر الفرس شديد الملاسة . (٦) الهاديات : الحيوانات التي تسير على رأس قطيعها ، مرجل : مخطط . يقول ان هذا الفرس يسرع كثيراً حتى يلحق بالحيوانات النافرة امام القطيع الهارب ، فاذا طعنها ونفر الدم منها تلقى هذا الفرس الدم (لسرعة سيره) بنحره ، فيختلط هذا الدم الاحمر بالزبد (الابيض) الذي تطاير من فم الحصان الى صدره . (٧) عنّ : ظهر ، سرب : قطيع ، دوار : قيل صنم يدار حوله ، ملاءة : ثوب ،

فأدبرن ، كالجَزْع المُفصّل بينه ، بجيد مُعَمّ في العشيرة مُخولّ (١) .
فالحقه بالهاديات ، ودونه جواحرها في صَرّة لم تزيّل (٢) .
فعادى عِداء بين ثور ونعجة دِراكاً ، ولم يُنْضَح بماء فيُغسل (٣) .
فظلّ طُهاة اللحم : من بين مُنضِج صفيفَ شِواء ، او قَدير مُعجّل (٤) .
ورُحنا يكاد الطَرف يقْصر دونه ، متى ما تَرقّ العين فيه تسهّل (٥) .
فبات عليه سرجه ولجامه ، وبات بعيني قائماً غير مُرسَل (٦) .
أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حَبِيّ مُكلّل (٧) ،
يُضيء سَناه او مصابيحِ راهب امال السليط بالذُبال المُفتّل (٨) ،
قعدت له وُصحبتي بين ضارج وبين العُذَيب ، بعد ما مُتأمّل (٩) !

مذيل : لهذيل (بلون آخر) ـ يشبه بقر الوحش وهي بيض الظهور سود القوائم بآنسات يلبسن اثواباً بيض الاعالي سود الذيول . (١) الجزع المفصل : الخرز المتعاقب في سلكه ابيض فاسود او فصل بين خرزاته بقطع ذهب، معم مخول : ذو اعمام واخوال معروفين (اصيل) . (٢) دونه : وراءه ، جواحر : المتخلفات عن القطيع ، صرة : صياح او غبار ، تزيل : تفارق مكانها (بعدُ) . (٣) عادى : والى في الركض بينهما (والمراد بين كثير منها) ، الثور : ذكر بقر الوحش ، النعجة : انثاه ، دراكاً : تباعاً ، لم ينضح بماء فيغسل : لم يعرق كثيراً . (٤) صفيف شواء : الذي يشوي اللحم ، قدير : الذي يطبخ اللحم في القدر . (٥) ـ ومع ذلك فقد ظل هذا الفرس مرتاحاً نشيطاً رافعاً رأسه حتى ان العين تتعب من التطلع الى رأسه ، فاذا رفعت بصرك اليه اضطررت الى ان تخفضه وشيكاً . (٦) بعيني : قريباً مني ـ وظل الفرس مسرجاً ملجماً واقفاً قرب خيمتي غير مرسل الى المرعى (استعداداً لركوبه اذا فاجأتنا غارة) . (٧) وميض : لمعان، حبي مكلل : غيم متراكم ، لمع اليدين : حركتها (كناية عن السرعة الخاطفة) (٨) السليط : الزيت ، الذبال : الفتيلة ـ لمعانه ضعيف (لبعده) يشبه قنديل الراهب الذي اوشك زيته ان ينضب فامساله الراهب حتى يتجمع الزيت في طرفه فتأخذ منه الفتيلة . (٩) بعد ما متأمل : ما ابعد ما اتأمله (ما ابعده عني !)

على قطَن ، بالشّيم ، أيمَن صوبه ، وأيسرَه على السِتار فَيَذبُل (١) .
فأضحى يَسُحّ الماءَ حول كُتَيفة يُكبّ على الاذقان دَوح الكَنهَبل (٢).
ومر على القَنان من نفيانه فأنزل معه العُصم من كل مَنزِل (٣) .
وتيماءَ لم يترك بها جِذع نخلة ولا أُطُما الا مَشيداً بجندل (٤) .
كأن ثَبيرا في عرانين وَبله كبيرُ أناس في بِجاد مزمّلِ (٥)
كأن ذُرى رأس المُجيمر غُدوةً من السيل والغُثّاء فَلكةُ مِغزلِ (٦).
وألقى بصحراء الغبيطِ بَعاعَهُ نزولَ اليماني ذي العِياب المُحمّل (٧) .

---

(١) قطن والستار ويذبل : اسماء جبال ، الشيم : النظر ، صوبه :هطوله ـ هذا السحاب يمطر على مساحة واسعة .

(٢) كتيفة اسم مكان في الجبل ، يكب : يقلب، يرمي ، الاذقان : الوجوه ، الدوح الشجر العظيم ، الكنهبل : نوع من عظام الشجر ـ ان شدة هذا المطر كانت تلقي الاشجار الكبار ارضاً . (٣) القنان : اسم جبل ، نفيانه : زذاذه ، العصم جمع اعصم: نوع من الظباء تألف الجبال ـ كان هذا المطر شديداً الى ان بعض ما انهمر منه على جبل القنان اضطر جميع ما فيه من الظباء ان تنزل منه . (٤) تيماء: قرية (مدينة) من امهات القرى ، اطم : حصن ، مشيد بجندل : مبني بالحجارة الصلبة الضخمة ـ ان السيل جرف الاشجار والبيوت الا ما كان منها حصوناً مبنية بالصخور . (٥) ثبير : اسم جبل . عرانين وبله : طغيان مطره ، البجاد : ثوب مخطط ابيض فاسود ، مزمل : ملتف ، ومزمل مجرورة على المجاورة (لان الكلمة التي قبلها مباشرة مجرورة) وحقها الرفع لانها نعت لكبير ـ يشبه الجبل بعد ان سال عليه المطر في اماكن مختلفة برجل يلبس بجاداً ، فالمكان الذي يسيل فيه الماء ابيض ، والذي لا يسيل فيه الماء اسود . وذلك لان البجاد من لباس كبار القوم . (٦) الغثاء : ما يحمله السيل من الورق والاوساخ . فلكة المغزل : خشبة مستديرة في رأسه . ـ ان المطر تجمع بما يحمله من الغثاء في السهل حول هذا الجبل، فاصبح رأس الجبل يشبه فلكة المغزل، ذلك لان فلكة المغزل تكون ملساء لا شيء عليها بينما تكون الخيوط المغزولة ملفوفة حولها. . (٧) بعاعه : ثقله اي

كأن مَكاكيّ الجِواء غُديّةً صُبحن سُلافا من رحيق مُفلْفل (١) .
كأن السباع ، فيه غَرقى عشيّةً بارجائه القُصوى ، انابيش عُنصل (٢) .

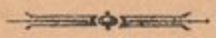

كل ما فيه (في السحاب ، من الماء) ، العياب جمع عيبة : وعاء للامتعة ـ بعد سقوط المطر اعشبت الصحراء وازهر عشبها فشبه ما انتشر فيها من العشب والزهر بالاثواب الكثيرة الالوان التي ينشرها (التاجر) اليماني (الآتي من اليمن) على الارض ليعرضها على المشترين . (١) مكاكي : طيور كثيرة الصفير ـ كأن هذه الطيور سقيت خمراً فيها فلفل حتى يشتد اسكارها ، ولذلك اكثرت هذه الطيور تغريدها . (٢) انابيش : اصول النبات المقتلعة بجذورها من الارض ، عنصل : بصل بري ـ ان الوحوش التي غرقت في السيل فماتت ظهرت بعد ان جف السيل كأنها اصول نبات واشجار مقتلعة من اماكنها وملقاة هنا وهناك .

طرفة بن العبد البكري

توفي نحو عام ٥٥ ق هـ (٥٦٧ م)

قومه واسرته هو من بني قيس بن بكر بن وائل، كانوا ينزلون بالبحرين في شرقي شمالي بلاد العرب (عند رأس خليج البصرة اليوم). وكانت امه وردة من بني مالك بن ضبيعة من بني ربيعة.

واما طرفة نفسه فاسمه عمرو بن العبد، ولعل اسم اباه الكامل كان عبد مناة او عبد اللات فاقتصر الرواة المسلمون على «العبد» كرهاً منهم لان يكون الانسان عبداً لغير الله. وكان لطرفة فيما نعلم من شعره اخ اسمه معبد، وابن عم اسمه مالك. ويظهر انه كان له اخوات اسم احداهن الخرنق، وكانت شاعرة، وربما كان من اخواته شاعرة غيرها ايضاً.

ونشأ طرفة يتيما، مات ابوه وهو صغير، فأبى اعمامه ان يقسموا له نصيبه وظلموه حقه. ويظهر ان طرفة خاصة قد تألم من هذا الظلم لانه نشأ مع امه وردة في بؤس وفقر. اما اخوه معبد فكان في الاغلب اكبر منه، ولعله كان ايضا من غير امه، وكان بلا ريب صاحب ابل كثيرة وانعام فلا يشك من الدهر ما شكاه طرفة. وفي شعر طرفة انه لم يكن على اتفاق مع اخيه معبد.

حياته العامة وقال طرفة الشعر شاباً ناشئاً وتعرض به مدحاً وهجاءً. وكان اكثر تعرضه لبلاط الحيرة. فيقال ان طرفة كان يرعى ابلاً له ولاخيه وكان كثيراً ما يلهو عنها بنظم الشعر فقال له اخوه: «لمَ لا تستريح في ابلك (تأتي به في الليل الى معاطنها)؟ ترى انها ان أُخذت منك تردها بشعرك هذا؟» قال طرفة: فاني لا اخرج بها ابداً حتى تعلم ان شعري سيردها ان اخذت. فتركها (طرفة) فأخذها اناس من مضر. فادعى (طرفة) جوار عمرو وقابوس ابني المنذر الثالث ملك الحيرة (ت ٦٨ ق.هـ، ٥٥٤ م) وقال:

أعمرو بن هند، ما ترى رأي صِرمة (١) لها سبب ترعى به الماء والشجرْ
وكان لها جاران، قابوسُ منهما وعمرٌو، ولم استرعها الشمس والقمر

فعوضه هذان الاميران، فيما قيل، ابلاً مكانها.

---

(١) قطعة من الابل

على ان طرفة لم يتصل بعمرو بن هند مباشرة ، بل كان متصلا بأبيه من قبله ، ثم اتصل باخيه لابيه (لا من امه) واسمه ايضاً عمرو بن امامة وذهب معه الى اليمن فمكثا هنالك بضع سنوات. ولم يزر طرفة بلاط الحيرة في ايام عمرو بن هند (٥٥٤-٥٦٨م) قط.

وقد اشترك طرفة في حرب البسوس التي انتهت قبل ان تبدأ حرب داحس والغبراء ببضع سنين او تزيد .

سوء وزعموا ان سبب مقتل طرفة انه هجا عمرو بن هند فكتب عمرو بن هند له ولخاله المتلمس كتابين الى عامله على البحرين واوهمها ان في الكتابين امراً بصلة لهما . اما المتلمس فقد شك في كتابه فقضه وسأل احد صبيان الحيرة ان يقرأه له ففعل فاذا فيه امر بقتله. عندئذ شق الكتاب والقاه في النهر ، ثم قال لطرفه : ان في كتابك مثل ما في كتابي ، فلم يشأ طرفة ان يصدق وتابع طريقه حتى وصل الى البحرين . وكان عامل البحرين قريباً لطرفة فنصحه ان ينجو بنفسه فلم يقبل فسجنه ثم سأله عن الطريقة التي يختارها لقتله فقال له : اسقني خمراً وافصد اكحلي (الاكحل عرق في الذراع) . ففعل عامل البحرين ذلك وتوفي طرفة على الاثر .

هذه القصة ظاهرة الصنع كما يبدو من تفاصيلها ، وخصوصاً اذا علمنا ان طرفة لم يزر عمرو بن هند في ايام حكمه . والاقرب الى الصواب ان يكون طرفة قد صحب عمرو ابن امامة (اخا عمرو بن هند لابيه) الى اليمن ، وقد مكثا هنالك بضع سنوات وقتلا هنالك في حديث طويل .

وزعم قوم ان طرفة قتل وعمره عشرون سنة ومنهم قد زعم انه قتل وعمره ستة وعشرون ويستشهدون على ذلك بقول اخته الخِرنِق :

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفّاها استوى سيداً ضخما

فجِعنا به لما رجونا ايابه ... على خير حال لا وليداً ولا قحما

والقحم المتناهي في السن . الا انه ليس ثمت من دليل على ان هذه الابيات قيلت في طرفة . ومع ذلك فان هذا الشاعر قد توفي في ابّان شبابه .

خصائصه طرفة شاعر مقل تُروى له بضع قصائد فقط ، وذلك راجع بلا شك الى انه مات صغيراً مع ان بعضهم يعتقد ان شعره قد ضاع . ومع هذا فان طرفة بلغ من

جودة الشعر بحداثة سنه ما بلغه غيره من الشعر بطول اعمارهم . وهو يعد في المتقدمين من شعراء الجاهلية بمعلقته، حتى قالوا انه اشعر الناس واحدة ، اي ان معلقته تفضل كل قصيدة جاهلية اخرى اذا قيست بها .

وشعر طرفة بدوي خالص ، بل هو ادل على البداوة من شعر كل شاعر جاهلي آخر ، انه كثير الغريب من الالفاظ ، كثير المتانة في التركيب الى حد التعقيد احياناً ، وفي تشابيهه واستعاراته شيء من الابهام . واما من حيث المعاني ففي معلقته اختراعات جعله بها ابن رشيق (١ : ٢٣٣) في المنزلة الثانية بعد امرىء القيس واستشهد له بابياته التي تبدأ في المعلقة بقوله : «ولولا ثلاث هنّ من لذة الفتى...» ، وبغيرها ايضاً .

وكذلك اغراض طرفة في معلقته خاصةً متعددة مختلفة ، وهي مطبوعة بطابعه الشخصي على الرغم من انه اراد الا يشذ عن القاعدة الجاهلية في « بِرّ » الاقربين ولو اساءوا اليه . ان قول طرفة في معلقته :

ولو كان مولاي امرأ هو غيره لفرج كربي او لأنظرني غدي

يدل على هذا النزاع النفسي بين ما يشعر به هو شخصياً وبين ما يقضيه « البر » للاقربين في الجاهلية . الا ان العنصر الشخصي لا يلبث ان ينتصر على العادة السائدة فيقول وهو يتألم :

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند !

فمن الاغراض التي تظهر في المعلقة خاصة عتابه لابن عمه مالك وغزله بخولة ووصفه للناقة وفخره بنفسه في الحياة والحرب وحكمه التي استمدها من نفسه ومن سوء معاملة اهله له . وله في غير المعلقة مقطعات مختلفة في الهجاء وشيء نزر من المديح . وسنوجز الكلام على هذه الاغراض وسنستشهد فقط على ما ليس له شواهد في المعلقة .

١. الهجاء — من المنتظر ان يكون المدح في شعر طرفة نزراً وان يكون الهجاء كثيراً ، لما علمت من طرد قومه له وظلم اهله اياه . وهجاؤه قصير ، مؤلم فيه تهكم على ما فيه من قلة المبالاة بالناس والجرأة على ذكر عيوبهم حتى، لقد تهكم على خاله المتلمس الشاعر كما قيل وهجا عمرو بن هند الذي كانت العرب تهابه هيبة شديدة . ولقد اجمع الرواة على ان مرارة هجاء طرفة كانت السبب في مقتله . من ذلك هجاؤه لعبد عمرو بن

بشر صهره ، وكانت اخت طرفة قد شكت اليه شيئاً في زوجها يجب الا يشكى من الرجال ، فلما مالأ عبدُ عمرو الملكَ عمرو بن هند على طرفة قال فيه طرفة :

فيا عجبا من عبد عمرو وبغيه ... لقد رام ظلمي عبد عمرو فانعما
ولا خير فيه غير ان له غنى ... وان له كشحاً اذا قام اهضما (١)
تظل نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن : عسيب من سرارة ملهما (٢) !

وهجا طرفة عمرو بن هند واخاه قابوسا فقال فيهما :

فليت لنا مع المَلْك عمراً ... رغوثاً حول قبتنا تخور (٣)
لعمري ان قابوسَ بن هند ... ليخلطُ ملكه نوكٌ (٤) كثير

٢. الوصف — ليس لطرفة في غير الناقة وصف يذكر. ولقد وصف الناقة في معلقته بستة وثلاثين بيتاً هي اطول ما عرف في وصف الناقة في الشعر الجاهلي . ويدهشك ان ترى طرفة لا يكتفي بوصف الاعضاء الظاهرة للناقة بل يصف اعضاءها الباطنة كقلبها وكملتقى عظام الجمجمة . هذا الوصف مادي ، انه تصوير حسي للناقة .

٣. الفخر والحماسة — ومع ان اهل طرفة قد اساؤوا اليه فانه افتخر بهم حين انتصر بنو بكر على بني تغلب يوم تحلاق اللمم (حلق الرؤوس) وهو آخر الايام (المواقع) العظيمة في حرب البسوس، تلك الحرب التي دامت اربعين عاماً حتى اطفاها المنذر (الثالث) ابن ماء السماء (ت ٦٨ ق.هـ ، ٥٥٤ م) :

سائلوا عنا الذي يعرفنا ... بقُوانا يوم تحلاق اللممْ .
خيرُ حي من مَعَدٍ علموا ... لكفيّ ولجار وابن عمْ .
وتفرعنا من ابني وائل ... هامة المجد وخرطوم الكرم .

اما حماسته فتقوم على النجدة والاسراع الى الحرب وعلى البأس في القتال والشجاعة مما تراه في المعلقة .

---

(١) الكشح الاهضم : الخصر النحيل (وهو من صفات النساء) . (٢) تدور النساء حوله ثم ترجعن وهن يقلن : هذا جريدة نخلة ! (٣) رغوث : شاة حلوب ، قبة : خيمة ، تخور : ترفع صوتها . (٤) حمق .

٣. الغزل ـ طرفة مادىّ الهوى يرغب في اللذة العاجلة ولذلك يندر ان ترى عنده نسيباً او غزلا وجدانياً بل هو اميل في غزله الى الوصف المادي والى المجون، فالمرأة احدى لذات طرفة الثلاث وخصوصاً اذا كان اليوم ممطراً وهو لا يستطيع فعل شيء آخر :

وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد .

وطرفة من اقدم الشعراء الذين كان عندهم الغزل المؤنث في لفظ مذكر :

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سِمَطيْ لؤلؤ وزبرجد

٤. العتاب ـ واكثر عتاب طرفة لاهله وقومه اما لانهم طردوه او ظلموه، واما لانهم خذلوه حينما خذلوه قبيل مقتله، وعتابه اقرب الى الهجاء . واذا تركنا الاستشهاد على عتابه لابن عمه لانه وارد في المعلقة فيجدر بنا ان نستشهد بما عاتب به اهله قبيل مقتله فيما قيل :

اسلمني قومي ولم يغضبوا لسَوءة حلت بهم فادحهْ
كم من خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحه (١)
كلهمُ اروغ من ثعلب ما أشبهَ الليلةَ بالبارحه .

٥. حكمه ـ وطرفة على صغر سنه من حكماء الجاهلية، بل لعل حكمه في معلقته اقرب ما في الشعر الجاهلي الى معنى الحكمة. ويزيد في قيمة الحكم عند طرفة انها مستمدة من حياته الخاصة ومن اختباره هو بعد الذي عاناه من ظلم اهله، فقد اندفع يطلب الحياة ويرى ان كل ما وراء هذه الدنيا المادية وكل ما وراء لذاتها العاجلة باطل .

ومع ان طرفة افتخر بالكرم والنجدة والشجاعة فانه حصر لذاته في الخمر والمرأة والضيافة . ثم رأى ان اللذة المادية العاجلة هي كل ما يصبو اليه الانسان . اما الحياة الاخرى فقد انكرها. ولقد فسح طرفة في الحياة مجالا كبيراً للاتفاق». اما الموت فيأتي على كل شيء، ولا يمكن لاحد ان يدفعه عن نفسه ولا عن غيره، وهذا هو الجبر الحقيقي (وهو ان ما يأتي على الانسان في هذه الحياة لا يأتيه باختياره». من اجل ذلك كان طرفة مادياً في آرائه فاعتقد ان ما انفقه الانسان في الحياة وتمتع به فقد ربحه، واما ما تركه وترك التمتع به فقد اضاعه .

ولعل اعظم ما في حكمه «آراؤه في الاخلاق» تلك الآراء التي تقرب من ان

(١) لا ترك الله له اسنانا .

تكون فلسفة : لقد فصل طرفة بين اسلوب الحياة وبين الاخلاق ، اذ الاخلاق عنده مبدأ اجتماعي ينحو نحو حسن معاملة الناس . اما افعال الانسان واعماله « كالسكر مثلاً والقمار والاستهتار بالملذات كلها » فأمور شخصية بحت ، يعود نفعها وضررها على صاحبها وحده .

معلقة طرفة بن العبد

قال طرفة معلقته ليبسط شكواه من اهله ويعلن آراءه في الحياة ، كما انه ضمنها بعض ما كان يفتخر به الجاهلي عادة من الشجاعة والكرم ، وتعتبر معلقة طرفة من ادل القصائد على خصائص الشعر الجاهلي والعقلية الجاهلية البدوية :

لخولةَ اطلالٌ ببُرقةِ ثهمَدِ ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ (١) .
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم ... يقولون : « لا تهلِك اسى وتجلد » .
كأن حُدوج المالكيّة غدوةً ... خلايا سفينٍ بالنواصف من دَد (٢) .
عَدَوليّة او من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاّح طوراً ويهتدي (٣) .
يشق حُباب الماء حَيزومُها بها ... كما قسم التُربَ المفايلُ باليد (٤) .
وفي الحي أحوى ينفضُ المَرد شادن ... مُظاهر سِمْطَيْ لؤلؤ وزَبرَجد (٥) .

---

(١) كبقاء اثر الوشم على ظهر اليد نفرت عروقها وتعرج جلدها ، حينما يتقدم الانسان في السن . (٢) الحدج : المودج ، المالكية : خوله حبيبته (من بني مالك بن سعد بن ضبيعة) خلايا سفين : سفن عظيمة ، يجور : يضل . (٣) عدولية (نسبة الى ارض ما او رجل ما) ، ابن يامن : (قيل ملاح معروف). (٤) حباب الماء : الزبد ، حيزوم : مقدم السفينة) ، المفايلة : لعبة يجمعون لها كومة من الرمل ثم يأتي لاعب فيخفي فيها جسما ما وبعدئذ يمر يده في وسط الكومة ويسأل لاعباً آخر عن مكان ذلك الجسم : اهو عن يمين يده او عن يسارها . (٥) احوى : شديد بياض العين وشديد سوادها معاً ، ينفض المرد شادن : يشبه المحبوبة ـ اذا مدت عنقها ـ كالظبي الذي يحاول ان يطال ثمر شجر الاراك ثم هي تلبس عقدين من لؤلؤ وزبرجد .

خذول تراعي ربرباً بخميلة تناول اطراف البرير وترتدي (١) .
وتبسم عن ألمى كأن منوّراً تخلل حرّ الرمل دعصٍ له ندِ (٢) .
سقته إياة الشمس الا لثاته أسفّ ، ولم تكدم عليه ، بإثمد (٣) .
ووجهٌ كأنّ الشمس القت رداءها عليه نقيُّ اللون لم يتخدد (٤) .
واني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرقالٍ تروح وتغتدي (٥) .
أمونٍ كالواح الإران نسأتها على لاحب كأنه ظهر بُرجُد (٦) .
تُباري عِتاقاً ناجيات ، واتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مَور معبّد (٧) .
لها فخذانِ أكمل النحض فيهما ، كانهما بابا مُنيف مُمرّد (٨) .
لها مرفقانِ أفتلان ، كأنما تُمرّ بسلميْ دالج مُتشدد (٩) .

---

(١) خذول : تركت الظباء واقامت على ربربها (ولدها) ، ثم هي تأكل من شجر الاراك وترتدي (تختفي بين اغصانه واوراقه) .

(٢) اللمى : السمرة في اللثة ، ثم يشبه اسنانها البيض كأنها زهر ابيض مغروس في تلة من الرمل الخالص . (٣) لون اسنانها كاياة (ضوء) الشمس ، و كأن اللثة قد رش عليها اثمد (كحل) فاسمرت وذلك من جمال اللثة عند العرب ، ثم هي لم ترهق اسنانها فتتشوه اشكالها واماكنها . (٤) تخدد : تشقق . (٥) امضي الهم : اذهبه ، عوجاء مرقال : ناقة ضامرة سريعة في تسلق التلال . (٦) امون : لا تعثر ، الاران : التابوت (يقصد انها قوية البنية كالواح الخشب المتينة) ، نسأتها : زجرتها وضربتها لتسرع في المسير ، اللاحب : الطريق ، برجد : الثوب المخطط (يقصد على طريق سهل مستقيم) . (٧) عتاق ناجيات : نياق كريمات الاصل سريعات ، الوظيف : عظم الساق (يعني انها تسرع فتتبع رجلها يدها) ، المور : الطريق . (٨) اكمل النحض فيهما : تم لحمها ، كأن فخذيها جانبي باب قصر عال مشيد بالبلاط ، او كأنهما عمودا بلاط على جانب باب قصر . (٩) افتلان : (هنا) متباعدان عن صدرها ، السلم : الدلو ، دالج : الذي ينقل الماء من البئر الى حوض الابل ، متشدد : متكلف ، متجلد — يشبه مرفقي الناقة في تباعدهما عن صدرها بتباعد ذراعي الرجل الذي يحمل دلوين ، دلالة على قوته . تمر : تفتل .

كقنطرة الروميّ اقسم ربها لتُكتنفنْ حتى تُشاد بقَرمَد (١) .
صهابيةُ العُثنون ، مُوجَدة القَرا ، بعيدة وخد الرجل ، موارة اليد (٢) .
أمرّت يداها فتلَ شزْر ، واجنحت لها عَضُداها في سَقيف مُسنّد (٣) .
جَنوح ، دِفاق ، عَندَل ، ثم أفرعت لها كتِفاها في مُعالىً مُصعّد (٤) .
واتلعُ نهّاضٌ ، اذا صعّدت به ، كسُكان بُوصيّ بدجلةَ مُصعِد (٥) .
وجُمجمة مثلُ العَلاة ، كأنما وعى الملتقى منها الى حَرف مِبرد (٦) .
وخدٌ كقُرطاس الشآمي ، ومِشفَر كسِبت اليماني قدّه لم يجرّد (٧) .
وعينان كالماويتين استكنّتا بكهفي حِجاجي صخرة قلتِ مورد (٨) .

---

(١) القنطرة : الجسر، الرومي : اليوناني، اشارة الى مقدرة اليونان في البناء، يقول: هي تشبه الجسر الذي رفع بناؤه واحيط بجدار من الآجرّ (القرميد). (٢) صهابية العثنون: الشعر الذي تحت شفتها اليسرى يميل الى الحمرة، موجدة القرا : صلبة الظهر، الوخد: بعد ما بين الخطوة والخطوة، موارة: كثيرة الحركة (والعرب يستحسنون ان يكون خطو رجل الناقة ثابتاً بعيداً ، اما خطو يدها فمع حركة) . (٣) فتلت يداها فتلاً شديداً وقام عضداها (القسمان الاعليان من ذراعيها) على جانبي جسمها كأنما يرفعان فوقهما سقفاً. (٤) جنوح : تميل في السير الى احد جانبيها ، دفاق : مندفعة في السير ، عندل : كبيرة الرأس ، وقد ارتفعت كتفاها حتى وصل اصلها الى ادنى السنام . (٥) اتلع نهاض : عنقها مرتفع ، سكان بوصي : دفة السفينة ، مصعد : (هنا) صاعد في مجرى النهر الى اعلاه (وهذا اصعب لانه يغالب بالسكان الموج ويعارض التيار). (٦) العلاة : السندان الذي يضرب عليه الحداد ، ثم ان عظام جمجمتها متصل بعضها ببعض على قوة ومتانة ، وهي مسننة كطرف المبرد (طرفة يتخيل الجمجمة المجردة من الجلد واللحم على ما نعرف من علم التشريح) . (٧) خدها ابيض كالورق ولا شعر عليه ، وشفتها رقيقة كالجلد المدبوغ للصناعة ولم يجرد (غير منكسر او ملتو) دلالة على ان الدقة فتية لا مسنة. (٨) الماوية : المرآة ، استكن: استقر ، الحجاج : العظم المشرف على العين وعليه ينبت الحاجب ، قلت مورد : نقرة ينبع منها الماء .

وصادِقتا سَمع التوجُّس للسُّرى لهَجسٍ خفيٍّ او لصوت مندّد (١) .
مؤللتان تعرف العِتْق فيهما كسامعتَيْ شاة بحَومَل مُفرَد (٢) .
وأروعُ نبّاضٌ أجذّ مُلملَم كمِرداة صخر في صفيح مُصمّد (٣) .
واعلم مَخروتٌ من الانف مارِنٌ عتيق متى ترجُمْ به الارض تزْدد (٤) .
وان شئتُ سامى واسط الكور رأسُها وعامت بضَبعَيْها نجَاءَ الخفَيْدد (٥) .
وان شئت لم تُرقِل وان شئت ارقلت مخافةَ مَلويٍّ من القِدّ مُحصَد (٦) .
على مثلها أمضي اذا قال صاحبي : « الا يا ليتني افديك منها وافتدي » .
اذا القوم قالوا : « من فتى ؟ » خِلت انني عُنيت فلم اكسل ولم أتبلد .
احلّتْ عليها بالقَطيع فاجذمت وقد خبّ آل الامعز المتوقد (٧) .
فذالت كما ذالت وليدة مجلِسٍ تُري ربّها اذيالَ سَحل ممدّد (٨) .
ولستُ بحلّال التلاع مخافةً ولكن متى يسترفدِ القومُ أرفِد (٩) .

---

(١) اذناها تسمعان الصوت الخفي في الليل وتسمع صوت المندد (الذي يرفع صوته).
(٢) مؤلل : محدد ، العتق : كرم الاصل (او ليس في داخله شعر) ، مفرد : منفرد ـ الوحش المنفرد اكثر تنبهاً للاصوات من الحيوان الاليف . (٣) اروع نباض: قلب قوي النبض ، احذ : أملس ، ململم : مجتمع ، مكتنز . مرداة : صخرة ، صفيح مصمد : حجارة عريضة صلبة (يصف موقع قلبها داخل صدرها) . (٤) واعلم مخروت من الانف : شفتها العليا التي تحت انفها مشقوقة ، مارن : لين (صفة لانفها) ، عتيق : (يدل على كرم اصل الناقة) ، متى ترجم به الارض تزدد : اي متى تضرب بناقتك في الارض (تسافر عليها) تزدد سرعة على المسير . (٥) ربما جذبتُ برسنها فأصبح رأسها موازياً في العلو لكورها (سرجها) ، ومدت ضبعيها (عضديها) كأنها تسبح ، كما يجري الخفيفد (ذكر النعام) . (٦) ملوي من القِد (الجلد) : السوط ، محصد : الشديد الفتل . (٧) احلت عليها بالقطيع : ضربتها بالسوط ، اجذم : اسرع ، خب : اضطرب ، الآل : السراب الامعز : المكان الغليظ الكثير الحصى . (٨) اي ماست وتبختر الناقة في مشيتها كما تفعل الفتاة لتري سيدها ثوبها الابيض الطويل الذيل . (٩) اي لا اسكن التلاع وهي

فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تقتنصني في الحوانيت تصطد (١) .
وان يلتق الحيّ الجميعُ تلاقني الى ذروة البيت الكريم المصّمد (٢) .
متى تأتني اصبحْك كأساً رويّة وان كنت عنها ذا غنى فاغنَ وازدد (٣) .
نَدامايَ بيضٌ كالنجوم وقَيْنةٌ تروح الينا بين بُرد ومُجسَّد (٤) .
رحيبٌ قطاب الجيب منها ، رقيقةٌ بجسّ الندامى ، بضّة المتجرّدِ (٥) .
اذا نحن قلنا : « اسمعينا » انبرت لنا على رِسلها مطروفة لم تشدّد (٦) .
اذا رجّعت في صوتها خلت صوتها تجاوُبَ أظآر على رُبَع ردي (٧) .
وما زال تشرابي الخمورَ ولذّتي وبيعي وانفاقي طريفي ومُتلَدي (٨) .
الى ان تحامتني العشيرةُ كلها وأفردت افرادَ البعير المعبّد (٩) .

مجاري المياه من رؤوس التلال، ولكن اذا جاء طالب رفد «عطاء» أعطه «يعني لا اهرب من اكرام الضيوف» . (١) حلقة القوم : ناديهم ، الحانوت : مكان بيع الخمر ، (يعني تجدني مع اشراف القوم وتجدني في محلات اللهو). (٢) المصمد : المقصود (يعني اذا انتمى الناس الى انسابهم فاني انتمي الى اشرف البيوت) . (٣) اصبحك : اسقيك (الخمر) صباحاً ، روية : تروي ، ثم يقول : واذا كنت ذا مال يغنيك عن قبول كأس خمر مني فهذا لا يمنع من ان تقبل مني ما اكرمك به . (٤) النديم : الذي يشرب الخمر معك ، القينة : التي تسقي الشاربين الخمر وتغنيهم ، البرد : الثوب الابيض ، المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران (يعني يلبس ثوبين ابيض ومصبوغاً). (٥) رحيب : واسعة ، قطاب الجيب : مجتمع الثوب حول العنق (يصف اتساع صدرها) ، رقيقة بجس الندامى : اذا الندامى جسوا جسدها وجدوه رقيقاً ليناً ، بضة : بيضاء لينة . المتجرد : التجرد من الثياب . (٦) اسمعينا : غني لنا ، رسلها : هينتها وسكونها . انبرت : (اجابت) ، مطروفة : ساكنة ، تشدد (تتشدد) : تتهيأ وتجتهد . (٧) رجّع : ردد الصوت ، أظآر جمع ظئر : (ام) ، ربع رد : طفل ميت . (٨) الطريف والمتلد : المال المكتسب والموروث .

(٩) تحامتني : اجتنبتني ، المعبد : المدهون بالقطران (لانه اجرب) .

رأيت بني غبراءَ لا يُنكرونني ولا اهلُ هذاك الطِراف الممدّد (١) .
ألا ايُهذا اللائمي أشهدَ الوغى وان احضُر اللذاتِ هل انت مخلدي (٢)؟
فان كنتَ لا تستطيع دفعَ منيّتي فدعني ابادرُها بما ملكت يدي !
فلولا ثلاثٌ هن من لذة الفتى وجدك لم احفِل متى قام عُوّدي (٣) ؛
فمنهن سبقي العاذلاتِ بشَربة كُميتَ متى ما تُعلَ بالماء تزبد (٤) ؛
وكَرّي ، اذا نادى المُضاف ، مجنّباً كسيد الغضا ، نبّهته ، المتورّد (٥) .
وتقصيرُ يوم الدّجن ، والدجنُ مُعجِب ، ببَهكنة تحت الخِباء المعمّد (٦) .
فذَرْني اروّي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا غداً اينا الصدي (٧) !
كريمٌ يروّي نفسه في حياته مخافة شرب في الممات مُصرّد (٨) .
لعمرُكَ ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطِوَل المُرخى وثِنياه باليد (٩) .
متى ما يشأ يوماً يقُده لحتفه من يكَ في حبل المنية يَنقد (١٠) .
ارى قبر نحّام بخيلٍ بماله كقبر غويّ في البَطالة مفسد (١١) .

---

(١) غبراء : الارض ، بنو غبراء : الفقراء ، الطراف : الخيمة من جلد ، اهل الطراف : الاغنياء . (٢) يا ايها الذي يلومني على الذهاب الى القتال وعلى التمتع بالملذات ، هل تستطيع ان تخلدني في الدنيا (اذا انا لم افعل ذلك). (٣) احفل : اهتم ، العود جمع عائد: الذي يزور المريض ، قام عودني: مت (لان المريض اذا اوشك ان يموت خرج العائدون من عنده) . (٤) العاذلات : اللائمات ، كميت : خمر حمراء ، بصفها بانها اذا مزجت بالماء علاها الزبد . (٥) كري : اسراعي ، مجنباً : قائداً فرسي معي لاحمله عليها ، السيد : الذئب ، الغضا : نوع من الشجر ، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية ، المتورد : الذاهب الى الماء (العطشان) . (٦) الدجن : المطر ، معجب : يعجب (منه من رآه لشدته) ، بهكنة : امرأة كاملة الخلقة ، المعمد : المرفوع على عمد (خيمة كبيرة) . (٧) الصدي : العطشان . (٨) مصرد : قليل . (٩) الطول : الحبل ، ثنياه : طرفاه (١٠) يشبه الانسان في يد الموت كالحيوان المربوط بحبل ، وهو مرسل يرعى ، فمتى شاء الموت جب الانسان اليه . (١١) نحام: الذي يتنحنح عندما يسأله احد معروفاً .

ترى جُثوتين من تراب عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيح مُنضّد (١) .
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد (٢) .
ارى الموت اعدادَ النفوس ، ولا ارى بعيداً غداً . ما اقربَ اليومَ من غد !
ارى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تَنقُصِ الايامُ والدهرُ يَنفَد (٣) .
فما لي اراني وابنَ عميَ مالكا متى ادنُ منه يَنأ عني ويبعُد .
يلومني ولا ادري علامَ يلومني كما لامني في الحيّ قُرط بن أعبَد (٤) .
وآيسني من كل خير طلبته كأنا وضعناه الى رمسِ مُلحَد (٥) .
على غيرِ شيء قلته غير انني نشدّت فلم أغفِل حمولة معبد (٦) .
وقرّبت بالقُربى وجدِك انني متى يكُ امرٌ للنكيثة اشهد (٧) :
وان أُدعَ للجُلّى اكن من حُماتها ، وان يأتك الاعداء بالجهد اجهَد (٨) .
وان يقذِفوا بالقَذع عِرضك اسقِهم بشرب حِياض الموت قبل التهدّد (٩) .
فلو كان مولايَ امرأ هو غيرُه لفرّج كربي او لانظرني غدي (١٠) .
ولكنّ مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسآل او انا مفتدي (١١) .

---

(١) الجثوة: الكومة ، منضد : مرفوع (على القبر) . (٢) يعتام : يختار ، العقيلة : (هنا) خيرة المال ، الفاحش : السيء الخلق ، المتشدد : البخيل . — الموت يأتي على كل نفس . (٣) ما = اسم شرط في محل نصب مفعول به — العمر كالمال الذي تأخذ منه كل يوم شيئاً لنفقتك . ومهما كان عمرك طويلا فانه يفنى مع الايام . (٤) ابن عمي يلومني كما يلومني الغرباء (كقرط بن اعبد مثلاً) . (٥) كأننا دفنّا الخير . (٦) معنى هذا البيت غامض ولعله يقصد ان اخاه لامه على قول الشعر فطلب به الابل التي كانت قد نهبت . (٧) تقربت اليك بما بيننا من قرابة ، النكيثة : الحادث المفظع ، اشهد : احضر واشترك في الجهاد . (٨) الجلى : الامر العظيم ، الجهد : البلاء ، اجهد : اجاهد معك . (٩) القذع : الشتم ، ثم يقول : اقتلهم قبل ان اتهددهم . (١٠) مولاي : ابن عمي (يقصد ابن عمه مالكاً) امرؤ هو غيره : مسهر بن اصرم فيما قالوا ، لفرج كربي : اعانني على ما انا فيه من الغم . لانظري غدي : تأنى علي وصبر حتى استطيع ان افعل ما يريد في المستقبل . (١١) — يقصد

وظلمُ ذوي القربى اشدّ مَضاضة على النفس من وقع الحسام المهنّد (١) !
فذرني وخُلقي انني لك شاكرٌ ولو حلّ بيتي نائياً عند ضَرغَد (٢) .
فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بنَ خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مَرثَد (٣) .
فاصبحت ذا مال كثير وزارني بنونَ كرامٌ سادةٌ لمسوّد (٤) .
انا الرجل الضَرب الذي تعرفونه خَشاش كرأس الحيّة المتوقد (٥) .
فآليت لا ينفكّ كَشحي بِطانة لعضبٍ رقيق الشفرتين مُهنّد (٦) .
حُسامٍ اذا ما قمت منتصراً به كفى العودَ منه البدءُ ليس بمعضَد (٧) .
اخي ثِقة لا ينثني عن ضريبة اذا قيل:«مهلاً»قال حاجزه: «قدي»(٨) .
اذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتني منيعاً اذا بُلت بقائمه يدي (٩) .

ولكن ابن عمي يجبرني على ان اشكره وان اسأله دائماً (حتى يعطيني من المال الذي هو لي عنده) او انه يرضى اذا افتديت نفسي منه بمالي (اي اذا تركت له مالي الذي هو عنده).
(١) مضاضة : الم وحرقة ، الحسام : السيف القاطع ، المهند : صنع الهند. (٢) اي دعني اعيش كما احب : وسأظل شاكراً لك على كل حال حتى ولو ابتعدت عنك كثيراً ، ضرغد : اسم مكان (يفهم منه انه بعيد عن مكان سكنى ابن عم الشاعر) . (٣و٤) قيس ابن خالد رجل من بني شيبان ،وعمرو بن مرثد ابن عم آخر لطرفة وكان غنياً وذا بنين وحفدة كثار . فلما سمع ذلك من طرفة استدعاه ثم امر ابناءه السبعة فأعطاه كل واحد منهم عشرة من الابل ، وامر ثلاثة فقط من احفاده ان يفعلوا مثل ذلك، فتم لطرفة مائة من الابل . (٥) الضرب : الخفيف (الحركة) ، خشاش : ذو مضاء في الامور، المتوقد: الذكي النشيط . (٦) آلى : اقسم ، كشحى : جانبي او خصري، بطانة : ما يكون تحت الثوب ، عضب : قاطع ـ اقسمت ألا يفارقني السيف . (٧) معضد : سيف تمتحن به الشجر (مقص الشجر) ، كفى العود من البدء : تكفي منه الضربة الاولى لتفعل فعلها . (٨) يقطع كل ما اصابه ولا يرتد عنه، واذا اراد الضارب به ان يتراجع في ضربته يقول المضروب به : حسبي (يعني : كفتني هذه الضربة او الجزء من الضربة : قتلت) . (٩) منيعاً : لا يوصل اليه ، بلت : ظفرت به وتمكنت منه .

فان مِتّ فانعيني بما انا اهله ... وشقّي عليّ الجيب يا ابنةَ معبد (١) .
ولا تجعليني كامرئٍ ليس همّه ... كهمّي ولا يُغني غَنائي ومَشهدي (٢) .
بَطيءٍ عن الجلّى سريعٍ الى الخنا ... ذليلٍ ، بأجماع الرجال مُلهّد (٣) .
فلو كنت وَغلاً في الرجال لضرني ... عداوة ذي الاصحاب والمتوحد (٤) .
ولكن نفى عَنّي الرجالَ جراءتي ... عليهم ، واقدامي وصدقي ومَحتِدي (٥) .
لعمرُك ما امري عليّ بغُمّة ... نهاري ، ولا ليلي عليّ بسَرمد (٦) .
ويومٍ حبست النفسَ عند اعتراكه ... حِفاظاً على عَوراته والتهدّد (٧) .
على مَوطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترِكْ فيه الفرائصُ تُرعَد (٨) .
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالاخبار من لم تُزوِد (٩) .
ويأتيك بالاخبار من لم تَبعْ له ... بَتاتاً ولم تضرِب له وقت موعد (١٠) .
لعمرك ما الايام الا مُعارةٌ ... فما اسطعت من معروفها فتزوّد (٢) .
عن المرء لا تسأل وابصِرْ قرينَه ... فان القرين بالمقارِن مُقتدي (٣) .

---

(١) يخاطب ابنة اخيه فيقول لها : اذا مت فاذكريني بما استحق واحزني علي .
(٢) ولا تعامليني كرجل ليست له همتي ، يغني : يفيد ويدفع الحوادث ، المشهد : حضور القتال وغيره . (٣) = بطيء بدل من امرىء ، الخنا : القبيح من القول والعمل ، باجماع الرجال ملهد : يطرده الرجال عنهم وهم يدفعونه بايديهم . (٤) الوغل : الضعيف الخامل ، المتوحد : المنفرد (يقصد عداوة الجماعة والافراد) . (٥) المحتد : كريم الاصل .
(٦) غمة : حيرة ، سرمد : ابدي — لا تتملكني الحيرة في اعمالي نهاراً ولا يطول علي الليل (لانني اجد مخرجاً من كل هم او مصاب ينزل بي) . (٧) وكم من حرب صبرت النفس فيها وقاتلت حتى لا اعاب فيه ولا اترك مجالا للعدو ان يهدني . (٨) الفريصة : عضل بين الثدي والجنب ، وارتعاد الفرائص كناية عن الخوف ، والموطن هنا كناية عن الحرب . (٩) تزود : تعطيه زاداً (طعاماً او اجراً) . (١٠) لم تبع له بتاتاً : لم تشتر له طعاماً (لم تعطه اجراً) .

النابغة الذبياني

توفي نحو عام ١٨ قبل الهجرة ٦٠٤ م

هو زياد بن معاوية بن ضباب . . . بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، من قيس عيلان بن مضر . وذبيان وعبس اخوان ، وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان . وقد قيل ان النابغة كان احد الاشراف في قومه .

وسمي بالنابغة ، فيما قال الرواة ، لانه قال الشعر بعد ان تقدمت به السن ، وقيل لانه اكثر من قوله الشعر ، وقيل بل لانه قال في بعض شعره : «فقد نبغت لهم منا شؤون» .

واتصل النابغة ببلاط الحيرة ليمدح المنذر الثالث بن ماء السماء ، بعد ٩٢ ق. هـ. (٥٣٠ م) . ويظهر ان النابغة غادر البلاط حينما جاء عمر بن (المنذر الثالث بن) هند (٦٨ ــ ٥٣ ق. هـ ، ٥٥٤ ــ ٥٦٩ م) لانحيازه الى تغلب على بكر في حادثة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ، وقد قال فيه النابغة ابياتاً مطلعها :

من مبلغ عمرو بن هند آية ومن النصيحة كثرة الانذار .

وعاد النابغة الى الاتصال ببلاد الحيرة بعد موت عمرو بن هند في ايام اخويه قابوس والمنذر الرابع وقد حكما مدة يسيرة . على ان النابغة عرف بانه شاعر النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) وهو المعروف بابي قابوس ، وقد كان آخر ملوك الحيرة وحكم اثنتان وعشرين سنة من ٤٢ الى ٢٠ ق. هـ (٥٨٠ ــ ٦٠٢ م).

ونال النابغة عند النعمان حظوة عظيمة ونال من عطاياه وجوائزه مبلغاً جسيماً حتى انه كان يأكل في صحاف الذهب والفضة ، ولقد حرك ذلك حسد بعض اعدائه فيقال انهم صنعوا على لسانه ابياتاً في هجاء النعمان . وقيل بل كان النابغة في مجلس النعمان ، وبرت المتجردة امرأة النعمان ، فاتفق ان سقط نصيفها (لثامها) فسترت وجهها بذراعها وانحنت على الارض ترفع النصيف بيدها الاخرى . فطلب النعمان من النابغة ان يذكر هذه الحادثة في قصيدة يصف فيها المتجردة فعمل النابغة قصيدته :

امن آل مية رائح او مغتدي : عجلان ذا زادٍ وغيرَ مزودِ

فقال فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
بمخضّبٍ رَخصٍ كأن بَنانه عنَمٌ على اغصانه لم يُعقد (١)

ثم بدأ يصفها حتى ذكر اموراً لا يجوز ذكرها فانتهز اعداء النابغة الفرصة واوغروا عليه صدر النعمان . ويظهر ان النعمان اصغى للوشاية فخاف النابغة على نفسه وهرب الى بلاط الغساسنة فمدح احد امرائهم النعمان بن الحارث الاصغر ورثاه . وكذلك مدح اخاه عمرو بن الحارث الاصغر . ونحن نعلم ان هذين الاميرين عاشا وتوليا الملك بين ٥٨٣ و٦١٤ ولكننا لا نعلم تواريخ ملكهما بالتدقيق لاضطراب الاحوال السياسية في جميع تلك الحقبة .

خصائصه النابغة شاعر حضري لانه عاش اكثر حياته في بلاط الحيرة وبلاط جِلّق عند المناذرة والغساسنة ، من اجل ذلك تجد في بعض شعره رقة الحضارة من فصاحة في اللفظ وعذوبة وسهولة في التركيب (بالاضافة الى شعراء البادية كامرىء القيس وطرفة) . واحتجّ من قدّم النابغة على غيره من شعراء الجاهلية بانه كان اوضحهم معنى ، وابعدهم غاية (اي يتطلب معاني جديدة بعيدة غير تلك التي الفها الشعراء) ، كثير الفائدة (اي انه كثير المعاني في قليل من التراكيب) . وزاد بن رشيق فقال (١ : ٨١–٨٢) : « كان احسنهم ديباجةَ شعرٍ ، واكثرهم رونق كلام ، واذهبهم في فنون الشعر ، واكثرهم طويلة جيدة (اي ان قصائده الطوالَ جيادٌ) واسنهم مدحاً وهجاء وفخراً وصفة (وصفاً) . . . وكان زهير والنابغة من عبيد الشعر ، . . يتكلفان اصلاحه ويشغلان به حواسّهما وخواطرَهما . . . بالتنقيح والتثقيف » .

وقد عرف الجاهليون هذه المزايا الفنية للنابغة فكان بعضهم يحتكم اليه في سوق عكاظ، فمن احتكم اليه حسان بن ثابت الانصاري (شاعر الرسول فيما بعد) والخنساء تُماضُر بنت عمرو الشريد ، وهي ايضاً شاعرة مخضرمة .

فنونه النابغة اكثر اهل الجاهلية فنون شعر :

---

(١) العنم : ثمر احمر ، اشارة الى ان بنانها (رؤوس اصابعها) مصبوغة بلون احمر .

١. **المديح** - مدح النابغة تكسباً حتى سقط في عيون معاصريه وفي عيون النقاد. قال ابن رشيق (١ : ٢٦ و ٦٤) : « وانما قيل في الشعر انه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثلما يضع من قدر الشريف الكامل ، وانه اسنى مروءة الدني وادنى مروءة السريّ . . وذلك ان الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل اذا مُدح به مثلما يضع (يخفض) من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً ، كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان (النابغة) اشرف بني ذبيان . هذا ، وانما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم . . . وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وانما يصنع احدهم ما يصنعه فُكاهة او مكافأة عن يدٍ لا يستطيع اداء حقها الا بالشكر كما قال امرؤ القيس يمدح بني تيم رهط المعلى :

اقر حشا امرىء القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام

لان المعلى احسن اليه واجاره حينما طلبه المنذر بن ماء السماء . . . حتى نشأ النابغة فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر - وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته او من سار اليه من ملوك غسان - فسقطت منزلته . وتكسب مالا جسيماً حتى كان اكله وشربه في صحاف الذهب والفضة ، واوانيه من عطاء الملوك » .

ولا ريب في ان المديح فن حضري لا بدوي ، لان عزة البدوي تأبى عليه التكسب بالمديح الا اذا تحضّر وانكسرت فيه سَوْرة البداوة كحال النابغة والاعشى ، او كان حضرياً في الاصل كحسان بن ثابت .

وقد خص النابغة بمديحه المناذرة ملوك الحيرة والنعمان ابا قابوس على الاخص ، ثم الغساسنة ملوك الشام . وفي مديح النابغة اغراض حضرية كوصف الصيد للهو ووصف السفر في النهر والمبالغة في خلع الصفات على الممدوح والغزل الرقيق .

فمن امثلة مديحه الجيد قوله يمدح عمرو بن الحارث الغساني بعد ان هرب من النعمان وجاء الى جِلّق :

كليني لهمٍّ يا أُميمةُ ، ناصبِ وليلٍ ، أقاسيه ، بطيء الكواكب (١).
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ وليس الذي يهدي النجوم بآيب (٢) .
وصدرٍ اراح الليلُ عازبَ همه (٣) ، تضاعف فيه الحزن من كل جانب .
علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب (٤) .
حلفت يميناً غير ذي مثنوية (٥) ، ولا علمَ الا حسن ظنّ بصاحب .
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسّانَ غير أشايب (٦) .
بنو عمّه دنياً وعمرو بن عامر ، اولئك قوم بأسهم غير كاذب (٧) .
اذا ما غزَوْا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طير تهتدي بعصائب (٨) .
جوانحُ قد ايقنّ أنّ قبيلهُ ، اذا ما التقى الجمعانِ ، أولُ غالب (٩) .
لهن عليهم عادة قد عرَفْنها اذا عُرّض الخطّيّ فوق الكوائب (١٠).
على عارفات للطعان عوابس بهن كلوم بين دامٍ وجالب (١١) .
اذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا الى الموت ارقال الجمال المصاعب (١٢).
فهم يتساقَوْن المنيّة بينهم بايديهم بيض رقاق المضارب .
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب (١٣) .

---

(١) كليني : اتركيني ، دعيني . ناصب : منصب ، متعب . بطيء الكواكب : طويل ، لا تغرب نجومه بسرعة . (٢) يهدي النجوم : النجوم التي تطلع (تظهر) في اول الليل ، آيب : راجع الى مسقطه (غائب) . (٣) اعاد الليل اليه همه الذي كان قد نسيه في النهار. (٤) لم يلحقها منّ ولا اذى . (٥) لا استثني فيها شيئاً. (٦) اشايب : اخلاط ـ يقصد ان الغازين من بني غسان فقط. (٧) دنياً : بنو عمه الاقربون. باسهم غير كاذب: لا جبن فيه. (٨) عصائب جمع عصبة : جماعة. (٩) جوانح : مائلات . (١٠) اذا وضعت الرماح مستعرضة امام القربوس (مقدم السرج) ـ دلالة على ذهابهم الى الغزو . (١١) عارفات : صابرات ، كلوم : جروح ، دام: الجرح الدامي الجديد ، جالب: الجرح القديم الذي برؤ ولكنه ترك اثراً . (١٢) اذا اشتدت الحرب والتحم المتحاربون نزلوا عن خيولهم ، ارقلوا : اسرعوا في الصعود ـ كناية الى استماتتهم في القتال. (١٣) فلول.

تُوُرِّثْنَ من ازمان يوم حليمة ... الى اليوم قد جُرِّبن كلّ التجارب (١) .
تُقدّ السلوقيّ المُضاعَفَ نسجُه ، وتُوقد بالصّفاح نارَ الحُباحب (٢) .
لهم شيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرهم ، من الجود والاحلام غير عوازب (٣) .
محلتهم ذات الاله ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقب (٤) .
رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيّون بالريحان يوم السباسب (٥) .
تحييهم بيض الولائد بينهم ... واكسية الاضريح فوق المشاجب (٦) .
يصونون اجساداً قديماً نعيمها ... بخالصة الاردان خضر المناكب (٧) .
ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ، ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب (٨) .

٢. **الاعتذار** — وكذلك الاعتذار في شعر النابغة ميزة حضَرية لا بدْوية ، فان عنترة او طرفة مثلاً ما كانا ليعتذرا او يذلا انفسهما كما فعل النابغة — ولو كانت التهمة صحيحة . ان موقف النابغة امام النعمان موقف متذلل خائف لا يريد ان يغضب النعمان حتى لا تنقطع عنه صلاته وعطاياه . انه لا ينكر التهمة انكار رجل عزيز النفس او انكار رجل بريء جريء ، ولكنه يحاول ان يتعطف النعمان بكل سبيل باظهاره دائماً

ثلوم ، القراع . القتال . (١) يوم حليمة . معركة انتصر فيها الغساسنة على المناذرة في سهل قنسرين (شمالي سورية) . (٢) السلوقي . الدرع المنسوب الى سلوقية (؟). وتقدح الشرر في الصخر القاسي . نار الحباحب . الشرر الذي يتطاير من فرقعة المواد المحترقة . (٣) شيمة . عادة . الاحلام : العقول . عوازب : بعيدون . (٤) محلتهم ذات الاله = ؟ العواقب : العواقب الحميدة . (٥) رقاق النعال : كناية عن الغنى والنعمة ، لا يجعلون نعالهم صفيقة بل رقيقة ، حجزاتهم : ما يحجز بين بيوتهم ، كناية عن العفاف ، السباسب : عيد الشعانين . (٦) الولائد جمع وليدة : الجارية ، الاضريح : الحرير الاحمر ، المشجب : ما تعلق عليه الثياب — يعني انهم يوم عيدهم ينشرون اثواب الحرير (يزينون بها) وتقف الجواري وتحييهم عند مرورهم . (٧) اردانها . (رؤوس الاكمام فيها) بيض ، وما على اكتافها اخضر ، تيل انها على مثال ثياب الملوك . (٨) ضربة لازب : دائم ، ثابت — يعتقدون ان كل حال تتبدل ، فيكون بعد الخير شر ، او بعد الشر خير .

انه لا يجسر ان يقول مثل هذا الكلام الذي نسب اليه ، ويجعل نفسه في كل ذلك «عبداً» يتقبل القصاص برضى ، او ينتظر العفو من سيد متفضل. وهو يكثر من الايمان المغلظة ان الناس صنعوا ذلك على لسانه او كذبوا عليه فيه . ومع ان النابغة قد حط من مقدار نفسه في هذه القصائد من الناحية الخلقية ، فانه قد وهب الادب العربي فناً جديداً . انه حذق التعبير عن موضوع جديد ، وفتح امام الشعراء المتأخرين باب «العتاب السياسي» .

اما ابرز اعتذارياته فهي التي تلي .

أتاني ، ابيتَ اللعنَ ، انك لُمتني . وتلك التي اهتمّ منها وانصَبُ (١) !
فبِتّ كأن العائدات فرشن لي هِراساً به يُعلى فراشي ويُقشب (٢) .
حلفتُ ، فلم اترك لنفسك ريبة ، وليس وراء الله للمرء مذهب (٣) .
لئن كنتَ قد بُلِغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغشّ واكذب .
ولكنني كنت امرأ لي جانب من الارض فيه مُستراد ومذهب (٤)
ملوك واخوان اذا ما اتيتهم أَحكّم في اموالهم وأُقرّبُ
كفعلك في قوم اراك اصطفيتهم فلم ترهم في شكر ذلك اذنبوا .
فلا تتركنّي بالوعيد كأنني الى الناس مَطليّ به القار اجرب .
ألم ترَ ان الله اعطاك سُورة ترى كل مَلْك دونها يتذبذب (٥) .
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكب .

---

(١) أبيت اللعن . كرمت عن ان تأتي امراً تلعن به ، اهتم منها . يصير لي منها هم ، انصب . اتعب . (٢) العائدات . الزائرات في المرض ، الهراس . نبت له شوك ، يقشب . يخلط ويجدد — أتألم كأني نائم على فراش من شوك . (٣) حلفت يميناً (بالله) لا يترك في نفسك شكا في صدقي ، وليس ثمت يمين اعظم من اليمين بالله . (٤) مستراد . مكان اروده (اذهب اليه) — كان لي مكان تعودت الذهاب اليه . (٥) سورة . منزلة ، يتذبذب . يضطرب — يجهد الملوك ان يبلغوا منزلتك فلا يستطيعون .

ولستَ بمستبقٍ اخاً لا تلمّه على شَعَث . ايّ الرجال المهذّب (١) !
فان اكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمته ، وان تكُ ذا عُتبى فمثلك يُعتِب (٢) .

ثم تجده في هذه القصيدة التالية يعيد ما قاله من قبل ، ولكنه يزيد في اظهار تذلله وتظلمه ، ولا يغفل في كل ذلك عن ان يعرض بعطاء النعمان مما يدل على انه يحرص على عطاء النعمان اكثر من حرصه على رضاه :

أتاني ، ابيتَ اللعنَ ، انك لُمتني ، وتلك التي تستكّ (٣) منها المسامع :
مقالةَ ان قد قلت سوف انا له وذلك من تلقاء مثلك رائع (٤) .
لعَمري ، وما عَمري عليّ بهين ، لقد نَطقت بُطلاً عليّ الاقارع (٥) :
اقارع عَوف لا احاول غيرها . وجوهُ قرود تبتغي من تجادع (٦) .
اتاك امرؤ مستبطن لي بَغضةً له من عدوّ مثل ذلك شافع (٧) .
اتاك بقول هلهلِ النسجِ كاذباً ، ولم يأت بالحقّ الذي هو ناصع (٨) .
اتاك بقول ، لم اكن لاقولَه ولو كُبلت في ساعديّ الجوامع (٩) .
حلفت ، فلم اترك لنفسك ريبة ، وهل يأثمنّ ذو اُمة وهو طائع (١٠) ؟

---

(١) الشعث هنا العيب او النقص . تلمه : تضمه اليك ـ اذا كنت لا تصاحب احداً فيه عيب ، فقدت جميع اخوانك ، وهل في الارض رجل كامل ؟ (٢) العتبى : الرضى ـ انا عبدك فان كنت قد ظلمتني فقد قبلت منك هذا الظلم ، وان كنت انا مذنباً فمثلك من يعفو .

(٣) تنسد ، تصبح صماء . ـ ليتني اصبت بالصمم ولم اسمع انك لمتني . (٤) تلقاء : عند . رائع : مخيف ، مفزع . (٥) العمر (بفتح العين) : الحياة وهو للقسم ـ اي احلف بحياتي انا ، وذلك عزيز علي . (٦) اقارع عوف : بنو قريع بن عوف وهم الذين وشوا به الى النعمان . لا احاول (ان اتهم) غيرها . جادعه : شاتمه وسابه . (٧) مستبطن : مضمر . من عدو : من عدو لي . شافع : معين . (٨و٩) هلهل : سخيف ، رقيق . ولو قيدت يداي بالجوامع (الاغلال) . (١٠) اثم يأثم : اكتسب ذنباً . امة : دين .

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن إلالاً سيرهنّ التدافع (١) .
عليهن شعثٌ عامدون لحجهم ، فهنّ كاطراف الحِنِي خواضع (٢) .
حملتَ عليّ ذنبه وتركته ، كذي العرّ يُكوى غيره وهو رائع (٣) .
فمن كان لا يهوى هواك فقطّعت سرابيل من نار له وبراقع (٤) .
فان كنتَ لا ذو الضِغن عني مكذّب ، ولا حَلِفي على البراءة نافع ،
ولا انا مأمون بشيء اقوله ، وانت بامر لا محالة واقع (٥) .
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خِلتُ ان المنتأى عنك واسع (٦) :
خطاطيف حُجنٌ في حبال متينة تمدّ بها ايدٍ اليك نوازع (٧) .
اتوعد عبداً لم يخنك امانة ، وتترك عبداً ظالماً وهو ظالع (٨) ؟
وانت ربيع يَنعَش الناسَ سيبُه وسيف اُعيرَتْه المنيةُ قاطع (٩) !

٣. **الرجاء** — الهجاء في ديوان النابغة قليل ولكنه منقسم قسمين : هجاءً شخصياً وهجاءً قبلياً . فمن هجائه الشخصي رده على الشاعر المشهور عامر بن الطفيل — وكان اصغر من النابغة — فهجاه بان صغّره وفضل عليه اباه وعمه وعيّره بالجهل والصبى فقال له:

---

(١) مصطحبات : تصطحب معها الحجاج. لصاف وثبرة : مكانان في ديار ضبة . الال: قمة في جبل عرفات بمكة . سيرهن التدافع : مسرعات . (٢) الشعر الاشعث : المغبر والذي على غير نظام . عامدون : قاصدون . اما النياق فهي نحيلة منحنية (كالقوس). خاضعة (اي منخفضة العنق) . (٣) — تركت صاحب الذنب الاصلي واتهمتني انا ، كمثل الابل يكوى الجمل الصحيح (كيلا يعدى بالجرب) واما الجمل الاجرب فيترك بعيداً يرعى (ولا يكوى) . (٤) لا يهوى هواك : لا يحب ما تحب انت . قطعت : فصلت (اي البس) . سربال : ثوب . برقع : غطاء للوجه . (٥) انت امام امر واقع. (٦) مهما امتدت عنك ذلا استطيع ان انجو منك، لانك كالليل الذي يصل الى كل بقعة من الارض. (٧) خطاطيف : قطع حديد تعلق بها الاشياء . حجن : عوج. نوازع : جواذب . (٨) ظالع : جائر ، مائل عن الحق . (٩) السيب : العطاء .

فان يك عامر قد قال جهلا ... فان مظنّة (١) الجهل الشباب !
فكن كابيك او كابي براء ... توافقك الحكومة والصواب .
ولا تذهب بحلمك طاميات (٢) ... من الخيلاء ليس لهن باب .
فانك سوف تحلم او تناهى (٣) ... اذا ما شبت او شاب الغراب .

اما هجاؤه القبلي ففيه فخر بنفسه وقومه، وهو يبدي دائماً اشفاقاً على المهجو ويسدي اليه النصائح مع شيء من التهديد والوعيد كما فعل في شأن زرعة (خويلد) بن عمرو بن خويلد حينما اشار عليه زرعة ، وقد لقيه ، بان تترك ذبيان (؟) حلف بني اسد ، فابى النابغة ، فجعل زرعة يتوعد النابغة ، فقال النابغة :

نُبئتُ زُرعةَ ، والسفاهة كاسمها(٤) ... يهدي الي غرائب الاشعار .
فحلفت يا زُرعَ بن عمروٍ انني ... ممن يشق على العدو ضراري .
ارأيت يوم عُكاظ حين لقيتني ... تحت العجاج فما شققت غباري ؟
انّا اقتسمنا خطيتنا بيننا . ... فحملتُ بَرةَ واحتملتَ فجارِ (٥)!
فلتأتينّكَ قصائدٌ ، وليدفعُن ... جيشٌ اليك قوادمَ الاكوار (٦) :
رَهطُ ابن كوز مُحقبي ادارعهم(٧) ... فيهم ، ورهط ربيعةَ بن حُذار .
وبنو قُعَينٍ لا محالةَ انهم ... آتوك غيرَ مُقلّمي الاظفار .
حولي بنو دودان لا يعصونني ... وبنو بَغيضٍ كلهم انصاري .

٤. الرثاء — والرثاء في ديوان النابغة اقل من الهجاء فيه . ورثاء النابغة لا عاطفة فيه ، بل هو باب من مديحه ، وقد تجد فيه شيئاً من الحكمة كقوله في رثاء صخار اخيه لابيه وامه :

لايهنىء الناسَ ما يرعَونَ من كلأ ... وما يسوقون من اهل ومن مال ،

---

(١) مكان ، اي الجهل يكون مع الشباب . (٢) المياه العالية ، التيار . (٣) تحلم او تناهي : تصبح عاقلا او ينتهي اوان جهلك . (٤) السفاهة (قبيحة) كاسمها .
(٥) برة : البر والوفاء . فجار : الفجور والغدر — انت دعوتني الى الغدر بني اسد فلم اقبل فكنت انا بذلك باراً وكنت انت غادراً . (٦) قوادم الاكوار كناية عن ركوب الابل — يعني سيغزونك . (٧) محقبو ادراعهم : واضعين دروعهم خلفهم استعداد للقتال .

بعد ابن عاتكةَ الشاوى على أبوَى ... اضحى ببلدةٍ لا عمٍ ولا خال .
سهل الخليقة مشّاء باقدحه ... الى ذوات الذرى حمال اثقال .
حسب الخليلين نأيُ الارض بينهما : ... هذا عليها وهذا تحتها بالي !

وقصيدة الرثاء عند النابغة قصيدة جاهلية فيها اطلال ونسيب ووصف للناقة ومديح ورثاء وتأمل في الحياة . فالرثاء اذن عند النابغة لا يزال غرضاً من اغراض القصيدة لا فن قائم بنفسه . قال يرثي ابا حجر النعمان بن الحارث الغساني :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازلُ . ... وكيف تَصابي المرء والشيب شامل (١)؟
وقفت بربع الدار قد غيّر البِلى ... معارفَها والساريات الهواطل (٢) .
اسائل عن سعدى ، وقد مرّ بعدنا ... على عرصات الدار سبعٌ كوامل (٣) .
وسلّيت ما عندي بروحة عِرمسٍ ... تخُبّ برَحلي تارة وتناعل (٤) .
فلا يُهنىءِ الاعداءَ مصرعُ مَلكهم ، ... وما اعتَقَتْ منه تميم ووائل (٥) .
وكانت لهم ربعية يحذرونها ... اذا خضخضت ماء السماء القبائل (٦) .
يسير بها النعمان تغلي قدوره ... تجيش باسباب المنايا المراجل (٧) .
يقول رجال ينكرون خليقتي ... لعلّ زياداً لا ابالك غافل (٨) .
أبى غفلتي اني اذا ما ذكرته ، ... تحرك داء في فؤاديَ داخل .
وان تلادي ، ان ذكرت ، وشكتي ... ومهري وما ضمّت اليّ الانامل .

---

(١) حملتك على الجهل (طيش الصبا) . (٢) المعارف : العلامات التي نعرف بها الاشياء . الساريات الهواطل : السحب الممطرة . (٣) العرصة : باحة الدار . سبع (سنوات) كاملة. (٤) العرمس : الناقة الشديدة. الخبب والمناقلة نوعان من سير الابل. (٥) اعتق : (هنا) نجا ـ بموته نجت قبيلتا تميم ووائل من الغزو . (٦) ربعية : غزوة في الربيع . خضخضت ماء السماء القبائل : اذا بدأ الناس يستقون الماء من الآبار بعد انقطاع المطر (؟) (٧) يضطرم الموت في قدوره ومراجله (صدور الجيش) . (٨) يقولون ان النابغة (زياداً) نسي النعمان بعد موته .

حباؤك ، والعيسُ العتاق كأنها هجان المها تُحدى عليها الرحائل (١) .
فان كنتَ قد ودّعت غير مذمّم اواسيّ مُلك ثبتته الاوائل (٢) .
فلا تَبعَدَنْ (٣) ، ان المنيّة منهل ، وكلّ امرىء يوماً به الحال زائل !
فما كان بين الخير لو جاء سالماً ابو حُجر الا ليال قلائل (٤) .
فان تَحيَ لا أملَلْ حياتي ، وان تمت فما في حياة بعد موتك طائل (٥) .
فآب مصلّوه بعين جليّة وغودر بالجَوْلان حزم ونائل (٦) .
سقى الغيث قبراً بين بُصرى وجاسم ثوى فيه جود فاضل وتوافل (٧) .
بكى حارث الجولان من فَقد ربّه وحوران منه مُوحش متضائل (٨) .
سجوداً له غسّانُ يرجون أوبَه وتُركٌ ورهط الاعجمين وكابُل (٩) .

٥ — **الوصف** وصف النابغة حضري ، وهذا ما يميزه من وصف اكثر الشعراء الجاهليين فلقد عاش النابغة في المدن (في الحيرة وفي جِلّق) اكثر مما عاش في البادية . وكان شاعر بلاط يعيش في الترف ويعاشر الملوك والامراء . ومع ان الوصف لم يكن عند النابغة فناً مستقلا فانه كان بلا ريب غرضاً بارزاً في قصائده .

واذا صرفنا النظر عن بعض الاغراض الجاهلية في الوصف كوصف الاطلال

---

(١) الشكة : السلاح . الحباء : العطاء . العيس العتاق : النياق الكريمة الاصل . هجان المها : الظباء البيض . تحدى : تساق . الرحائل جمع رحالة : السرج .

(٢) اواسي : الدعائم . (٣) ندبة للميت كأنهم لا يصدقون انه مات فيقولون له لا تبعد ولا تهلك . (٤) لو لم يمت لجاءنا منه خير (عطاء) سريع . (٥) فائدة (٦و٧) مصلوه : دافنوه ، راجع قوله تعالى في سورة الحاقة (٦٩ : ٣١—٣٢) خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . عين جلية : خبر واضح ، نائل : عطاء ، النوافل : العطايا . (٨) حارث الجولان : المزارعون في سهل الجولان ، ربه : ملكه ، وجبل حوران اوحش بعده وتضاءل (صغر) . (٩) غسان فاعل سجوداً ، اوبه : رجوعه وهي هنا عطاؤه . كابل : بلاد افغانستان — يقول كان كل الناس يرجون خيره .

ووصف الناقة ووصف المطر ، وصف الليل ووصف الصيد ، فاننا لا نستطيع الا ان نشير الى بعض الاوصاف الحضرية كوصف ايام العيد ووصف الجيش الذاهب الى الحرب ووصف الليل وقد مرت نماذجها في ما اخترناه من قصائده في المديح والاعتذار .

واما وصف الناقة وتشبيهها بالثور الوحشي ، ووصف الصيد ووصف المطر وسقوط البَرَد ووصف دجلة الهائجة مما برز في شعر النابغة بروزاً خاصاً فسترى نماذجه في معلقته الدالية . وللنابغة وصف حسي بارع تراه في اغراضه التي عددناها وتراه في وصفه للحية :

صِلّ صَفا لا تنطوي من القِصَرْ ، طويلة الاطراق من غير خَفَرْ (١) ،
داهية قد صُغرت من الكِبَرْ ، كأنما قد ذهبت بها الفِكَرْ (٢) .
مهروتة الشدقين حولاء النَظَرْ تفتر عن عوج حِداد كالابر (٣) .

ولا ريب في ان النابغة من اوصف شعراء الجاهلية ان لم يكن اوصفهم . وعلى الاخص اذا علمنا ان تنوع الوصف الصق بالاغراض الحضرية منه بالاغراض البدوية .

٦ — **النسيب والغزل والمجون** وهذه ايضاً تغلب عليها عند النابغة خصائص الحياة الحضرية فالنسيب قد يكون عنده تقليدياً ولكنه رقيق ناعم عذب فصيح الالفاظ سهل التراكيب يمس العاطفة كما ترى في مطلع قصيدته في رثاء النعمان بن الحارث الغساني . وكذلك يظهر نسيبه وغزله حضرياً رقيقاً دقيقاً اشد تأثيراً في العاطفة واصدق تعبيراً عما يريد الشاعر في مقدمة قصيدته المعدودة في «مجمهرات العرب» :

عوجوا فحيّوا لُنعم دِمنةَ الدار . ماذا تحيون من نؤْي واحجار (١)؟
وقفت فيها سراةَ اليوم اسألها ، عن آل نعم ، امُوناً عَبرَ اسفار (٢) .
فاستجمعت (٣) دار نعم لا تكلّمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار .

---

(١) عوجوا : ميلوا ، اعطفوا رؤوس مطاياكم الى . النؤي : الخندق الذي يحفر حول الخيمة ليمنع تسرب الماء اليها . (٢) سَراة : وسط . اموناً : ناقة قوية (وهي مفعول به من وقفت) . عبر اسفار : كثيرة السفر مقتدرة عليه . (٣) خرست .

وقد أراني ونعماً لاهين بها والدهر والعيش لم يهممْ بامرار (١) .
ايام تخبرني نعمْ واخبرها ما اكتم الناس من حاجي (٢) واسراري .
لولا حبائلُ من نعم علقت بها لاقصرَ القلبُ عنها ايَ اقصار (٣) .
فان افاق لقد طالت عمايته . والمرء يُخلق طوراً بعد اطوار (٤) .
نُبّئت نُعماً على الهجران عاتبةً ، سَقياً ورَعياً لذاك العاتب الزاري (٥) .
رأيت نعماً واصحابي على عجل والعيس للبين قد شُدّت باكوار (٦) .
فربع قلبي وكانت نظرةً عَرضت حَيْناً ، وتوفيقَ اقدار لاقدار (٧) .
بيضاء كالشمس وافت يوم اسعُدها لم تؤذِ اهلا ولم تُفحش على جار (٨) .
والطيب يزداد طيباً ان يكون بها في جيد واضحة الخدّين معطار .
تسقي الضجيع ، اذا استسقى ، بذي اشُر ، عَذْب المذاقة بعد النوم ، مخمار (٩) .
كأن مشموله صِرفاً بريقتها من بعد رقدتها او شهد مُشتار (١٠) .
اقول والنجم قد مالت اواخره الى المغيب : تثبّت نظرةً حار (١١) .
المحةً من سنا برق رأى بصري ، ام وجه نعم بدا لي ام سنا نار ؟
بل وجه نعم بدا والليل معتكر فلاح من بين اثواب واستار .
ان الحمُول ، التي راحت مهجّرة يتبعن كلّ سفيه الرأي مغيار (١٢) .

---

(١) اراني: لا ازال اتخيل اني. الامرار : المرور والذهاب. (٢) حاجاتي. (٣) لا رعوى ورجع وصحا . (٤) الانسان يتقلب في حياته ويتطور . (٥) الزاري : العاتب (ايضاً). (٦) وضعت الرحال على العيس (النياق) للرحيل . (٧) ربع : اخيف . حينا : موتاً (وهو مفعول بـه من عرضت) (٨) تقول فحشاً (سوءاً) . (٩) اشر : خطوط (في الاسنان) دلالة على نظافتها من كل مادة هلامية عليها . حلو الرائحة والمذاقة حتى حينما تستيقظ من نومها . مخمار : يفعل فعل الخمر . (١٠) المشمولة : الخمر الباردة. صرفاً : غير ممزوجة بالماء . الشهد : العسل . المشتار : المقطوف (حديثاً). (١١) حار : ترخيم حارث — يا حارث . (١٢) الحمول : النساء الراكبات على الابل . مهجرة : في نصف النهار . مغيار شديد الغيرة . — يقول الشاعر هؤلاء النسوة يتبعن ربهن الذي انتقل

نواعم مثل بيضات بمجنبة يَحُفّهن ظليم في نقا هار (١) .
اذا تغنّى الحمام الوُرق هيّجني ولو تغرّبته عنها ام عمار .

٧. **الادب والحكمة والقصص** — ومع ان النابغة ليس مشهوراً بالحكم كزهير ، وليس في شعره حكم كما في معلقة طرفة ، فان له ابياتاً تخلق بالاستشهاد . وبما انه حكيم مستمدة من الاختبار الطويل فهي من اجل ذلك اوثق صلة بحكم زهير منها بحكم طرفة . من ذلك كله قوله :

ولست بمستبقٍ اخاً لا تلمُّه على شعَثٍ ، اي الرجال المهذّبُ ؟
. . . . . فان مظنّة الجهل الشبابُ . .
المرء يأمل ان يعيـــش ، وطولُ عيش قد يضُرّه .
تفنى بشاشتُه ، ويبـــقى بعد حلو العيش مُرّه ،
وتخونه الايـامُ حتـــى لا يرى شيئاً يسرّه .
كم شامتٍ بيَ ان هلكـــتُ وقائلٍ لله دَرّه !

ويلحق بباب الادب (الحكمة) باب القَصَص ، وذلك ان النابغة يضرب احياناً في شعره امثالا ويسوقها سَوْقاً قَصَصياً . وله في ذلك قطعة مستقلة هي مثل الرجل والحية . فقد زعموا ان حية قتلت رجلاً في حديث طويل فجاء اخوه الى مكانها واراد ان يقتلها انتقاماً لاخيه . فخرجت اليه وقالت له : انني ندمت على قتل اخيك وسادفع لك ديته ديناراً كل يوم ، فكانت تأتيه مرة بعد مرة بدينار . فلما اغتني عاد فذكر ثأر اخيه فاعد فأساً وجاء الى جحرها ليقبض الدينار فلما خرجت عاجلها بضربة فأس اصابت رأس ذنبها فقطعته ولكنها نجت . . . وبعد مدة اراد ان يصالحها على ان ينسى هو ثأر اخيه

بهن من هنا لانه يغار عليهن . سفيه الرأي : ضعيف الرأي . (١) نواعم خبر ان في البيت السابق . وهن يشبهن بيض النعام التي بيضت على جانب الوادي وقام على حضنها الظليم (ذكر النعام) في تلة صغيرة من الرمل . الهاري والهائر : الذي ينهار تحت الاقدام ، غير متماسك . الورق ، جمع ورقاء : حمامة . ام عمار : محبوبة الشاعر .

وتنسى هي محاولة غدره بها وان ترجع فتؤدي اليه ديناراً كل يوم ، فقالت له : ما دمت انت ترى قبر اخيك امام عينيك وانا ارى اثر فأسك في ذنبي فلا سبيل الى الصلح . وامثال هذه الخرافة نادر في الشعر الجاهلي . قال النابغة :

واني لالقى من ذوي الضِغن منهمُ ، وما اصبحت تشكو من الوجد ساهرهْ (١).
كما لقِيَتْ ذاتُ الصَفا من حليفها ، وما انفكت الامثالُ في الناس سائره (٢).
فقالتْ له ! « ادعوك للعقل وافراً ولا تَغشَيَني منك بالظلم بادره (٣) » .
فواثقها بالله حين تراضيا ، فكانت تريه المال غِبّاً وظاهره (٤) .
فلما توفى العقلَ الا اقله وجارت به نفس عن الخير جائره (٥) .
تذكر انىّ يجعل الله جنّة . فيصبح ذا مال ويقتل واتره (٦) .
فلما رأى ان ثمّ الله ماله ، واثل موجوداً ، وسدّ مفاقره (٧) .
اكبّ على فأس يُحدّ غرابها مذكرة من المعاول باتره (٨) .
فقام لها من فوق جحر مشيّد ليقتلها او يخطيء الكفّ بادره (٩) .
فلما وقاها الله ضربة فأسه . وللبر عين لا تغمّض ، ناظره (١٠) !
فقال : « تعالي نجعلُ اللهَ بيننا على مالنا ، او تُنجزي لي آخره » .

---

(١) التي اسهرها العشق (؟) . (٢) الحية . (٣) اعتداء . (٤) الظاهرة : نصف النهار . الغب : يوماً بعد يوم ـ كانت تؤدي اليه كل يومين ديناراً وقت الظهر . (٥) توفى العقل : خسره (؟) . جارت : حادت ، مالت ، ضلت . (٦) الجنة : الستر ـ كيف يمكن للحية ان تنجو منه . (٧) ثمّ : اكثر (للمال) . اثل : ادام (للبنيان) . سد مفاقره : سد وجوه فقره ، اغناه .

(٨) غراب الفأس : حدها . يحدها : يشحذها ، يسنها . مذكرة : وضعت الذكرة (بضم فسكون) ، وهي قطعة من الفولاذ ، في رأسها . باترة : قاطعة . ـ الفأس المذكرة : الشديدة الصلبة والتي عولجت حتى اصبح طرفها القاطع كالفولاذ . (٩) الجحر : المأوى المحفور في الارض . يخطيء الكف بادره : اي لا يضرب في الوقت المناسب . (١٠) وقاها : حفظها . البر : (هنا) الله .

فقالت : « يمين الله افعلُ . انني رأيتك غدّاراً يمينك فاجره (١) . ابى لي قبر لا يزال مقابلي ، وضربةُ فأسٍ فوق رأسي فاقره (٢)! »

معلقة النابغة

لقد استشهدنا على خصائص النابغة وفنونه بمائة واثنين وثلاثين بيتاً وها نحن نثبت له ايضاً معلقته هنا .

نظم النابغة معلقته هذه بعد ان فارق النعمان الى بلاط الغساسنة عام ٣٢ق.ه ٥٩٠م) فهو يمدح فيها النعمان ويعتذر اليه عما سبق للواشين ان رموه به . ولا ريب في ان المعلقة امتن شعر النابغة واكثره نضجا واجمعها لاغراض الشعر في ديوانه ، ففيها وصف للاطلال مفصل ووصف للناقة دقيق وفيها وصف للصيد الحضري وفيها مديح واعتذار وقصص ، وفيها وصف لنهر الفرات .

يا دارَ ميّةَ بالعلياء فالسَّندِ ، اقوتْ وطال عليها سالفُ الابدِ (٣) .
وقفت فيها اصيلًا كي اسائلها ، عيّت جواباً . وما بالربع من احد (٤) .
الاّ الاواريّ ، لأياً ما ابيّنُها . والنؤيَ كالحوض بالمظلومة الجلد (٥) .
رُدّت عليه اقاصيه ، ولبّده ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأد (٦) .
خلّت سبيلَ اتيٍ كان يحبسه ، ورفّعته الى السجفين فالنَّضَد (٧) .
اضحت خلاءً ، واضحى اهلها احتملوا . اخنى عليها الذي اخنى على لُبَد (٨) .

---

(١) لا افعل ، فان اللام النافية تحذف بعد القسم عادة . (٢) الفاقرة : التي تكسر ، فقار الظهر (عظام السلسلة الفقرية) .

(٣) خلت من اهلها . (٤) العصر ، منتصف الوقت بين الظهر والمغرب. (٥) الاواري: معالف الخيل والاماكن التي تربط الخيل فيها . المظلومة : الارض . الجلد : الارض الغليظة لا حجارة فيها . (٦) الوليدة : الجارية. المسحاة : المجرفة . الثأد : التراب الندي (٧) الاتي : السيل . السجف : الستر . النضد : متاع البيت . رفعته : (هنا) قدمته ، قربته . (٨) لقد محا آثار هذه الدار لدهر الطويل الذي اهلك لبد (وهو نسر للقمان ابن عاد عاش مائتي عام فيما قيل) .

فعدِّ عما ترى اذا لا ارتجاع له ، وانْمُ القُتودَ على عَيرانةٍ أجُدِ (١) .
مقذوفةٍ بدَخيس النَحْض ، بازلها له صريفٌ صريفَ القَعْو بالمَسَدِ (٢) .
كأن رَحلي ، وقد زال النهارُ بنا يومَ الجليل ، على مُستأنسٍ وحِد (٣) .
من وحش وَجْرةَ ، مَوْشيٍ اكارعُه ، طاوي المصير كسيف الصيقل الفَرد (٤) .
سرت عليه من الجوزاء سارية تُزجي الشَمال عليه جامدَ البَرَد (٥) .
فارتاع من صوت كلاّب فبات له طَوعَ الشوامت من خوف ومن صَرد (٦) .
فبثّهن عليه ، واستمر به صُمْعُ الكعوب بريئات من الحرَد (٧) .

---

(١) اترك هذا (وصف الاطلال) اذ لا فائدة منه ، وارفع رحلك على ناقة قوية شديدة (يعني سافر) .

(٢) مقذوفة بدخيس النحض : ذات لحم مكتنز. البازل : سن يطلع للناقة اذا كملت قوتها . لهذا السن صوت كصوت حبل من ليف يجري على بكرة من خشب (دلالة على شدة الصوت الذي تحدثه هذه الناقة) . (٣) زال النهار : اصبح الوقت بعد الظهر . الوحد : الحيوان المتوحش العائش في البرية . المستأنس : المقترب من مكان الانس ، من الحضر (ويكون عادة كثير النفور مضطرباً) . الجليل : اسم موضع . (٤) موشي اكارعه : قوائمه مخططة سوداً وبيضاً . طاوي المصير (المصران) : ضامر البطن . الصيقل : صانع السيوف . الفرد : الوحيد — اذا كان للصيقل سيف فهو يشحذه دائماً فيصبح رقيقاً جداً .

(٥) امطرت عليه سارية (سحابة) . تزجي : ترسل ، تسقط . الشمال : ريح الشمال . جامد البرد : قطرات الماء المتجمدة (البرد) . (٦) ارتاع : خاف . الكلاب : الذي يصطاد بالكلاب . طوع الشوامت : اي يطيع قوائمه ، يقف عليها ولا يستطيع ان يتحرك او يهرب لما يشعر به من الخوف والبرد . (٧) فبثهن عليه : ارسل الكلاب عليه . استمر به صمع الكعوب : استمرت قوائمه ثابتة في مكانه (لم يهرب) . الصمع جمع اصمع : ضامر . الكعوب جمع كعب : مفصل العظام . بريئات من الحرد : لا اعوجاج فيها .

وكان ضمران منه حيث يوزِعه ... طعنَ المُعارك ، عند المُحجَرِ النجُدِ (١)
شكّ الفريصة بالمِدرى فانفذها ... شكّ المبيطر اذ يشفي من العَضَد (٢)
كأنه خارجاً من جنب صَفحته ... سَفّود شربٍ نَسوْهُ عند مُفتأد (٣) .
فظلّ يعجُم اعلى الرّوق مُنقبضاً ... في حالك اللون صَدقٍ غير ذي اوَد (٤) .
لما رأى واشِقٌ اقعاص صاحبه ... ولا سبيلَ الى عَقْل ولا قَوَد (٥) .
قالت له النفس : « اني لا ارى طمعاً . ... وانّ مولاك لم يسلم ولم يصِد » (٦) .
فتلك تُبلغني النعمانَ . ان له ... فضلاً على الناس في الادنى وفي البُعُد (٧).
ولا ارى فاعلاً في الناس يُشبه ، ... ولا احاشي من الاقوام من احد (٨) .
الاّ سليمانَ ، اذ قال الاله له : ... «قُم في البرية فاعددْها عن الفَنَد . (٩)

---

(١) ضمران : اسم علم على كلب . يوزعه : يدفعه عنه . المحجر : المأزق ، المكان الضيق (في الحرب) . النجد : الشجاع ، وهي نعت للمعارك ـ حينما ادرك ضمران الثور في مكان ضيق لا يستطيع ان ينجو منه ، اخذ الثور يطعن الكلب بقرنيه ليبعده عنه . (٢) الفريصة : العضلة التي بين الكتف والخاصرة . المدرى : القرن . انفذه : جعل القرن يدخل من جانب فيخرج من الجانب الآخر . المبيطر : طبيب الدواب . العضد : مرض يصيب الدواب فيداوى بانفاذ ميل من جانب الى جانب في صدر الدابة ثم بادخال مصران في ذلك المكان فيخرج من طرفيه صديد لمدة معينة . (٣) الشرب : الذين يشربون الخمر معاً : مفتأد : مكان شي اللحم . ـ يشبه الكلب المشكوك بقرن الثور كقطعة اللحم الكبيرة المشكوكة بسيخ حديد . (٤) يعجم : يعض . الروق : القرن . منقبضاً : ملتوياً . حالك : اسود . صدق : صلب . اود : اعوجاج ـ لعلها : في حالك اللون صدقاً غير ذي اود ، ومعناها : اسودّ لون الكلب من سيلان دمه ومع ذلك فقد ظل مجتهداً في عض قرن الثور ولم يتعب . (٥) واشق : اسم علم على كلب . اقعاص : موت . العقل : الدية . القود : قتل القاتل بالمقتول . (٦) طمعاً : طمعاً بصيد هذا الثور . مولاك : سيدك وصاحبك . (٧) تلك : اي الناقة التي لها هذه الصفات . الادنى والبعد : الاقربين والابعدين . (٨) استثني . (٩) احددها : امنعها . الفند : الخطأ والخطل .

وخيّس الجن ، اني قد اذِنت لهم يبنون تدمرَ بالصُفّاح والعَمَد (١) .
فمن اطاعك فانفعْه بطاعته كما اطاعك ، وادْلُلْه على الرَشَد .
ومن عصاك فعاقبه معاقبةً تنْهى الظلومَ ، ولا تقعُد على ضَمَد (٢) .
الاّ لمثلك ، او من انت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد (٣) .
اعطى لفارهةٍ حارٍ توابعُها من المواهب لا تُعطى على نكد (٤) .
لواهبُ المائةَ الابكار * زيّنها سَعدان توضحَ في اوبارها اللِبَد (٥) .
والساحباتِ ذيولَ الرَيطِ فنّقها برد الهواجر كالغزلان بالجَرَد (٦) .
والخيلَ تمزَع ، قُبّاً ، في اعنّتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرَد (٧) .
والاُدمَ قد خُيّست ، فُتلاً مرافقُها ، مشدودةً برِحال الحيرة الجُدُد (٨) .
واحكم كحكم فتاة الحيّ اذ نظرتْ الى حمامِ سِراعٍ وارِدِ الثَمَد (٩) .
يحفّه جانبا نِيقٍ ، وتُتبعه مثل الزجاجة لم تُكحَل من الرمد (١٠) .

سليمان : سليمان الحكيم بن داود . * في رواية : المعكاء

(١) خيس : ذلل ، استخدم . الصفاح : الحجارة العريضة . العمد : الاعمدة . (٢) تقعد على ضمد : تصبر على الضيم او الحقد . (٣) الامد : الغاية ـ اي الا لمن كان في درجتك من الفضل ، او لمن كنت اعلى منه بقليل .

(٤) الفارهة : المطية الحسنة الكريمة او الفتية . حار توابعها : كل ما يتبعها جيد . نكد : كره ، وضعن . (٥) المعكاء : الغلاظ الشداد . السعدان : نبت ذو شوك . توضح : اسم مكان . اللبد : الكثة الكثيفة . (٦) الساحبات ذيول الريط : الجواري اللابسات الحرير . فنقها : طيب عيشها وجعلها منعمة . برد الهواجر : اللجوء في وقت الظهر الى مكان بارد . كالغزلان بالجرد : يبدون جميلات كالغزلان التي لا يستر حسنها شيء (٧) تمزع : تسرع . غرباً : بحدة او شدة . في اعنتها : بارسانها . الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر . (٨) الادم جمع ادماء : الناقة البيضاء . فتلا مرافقها : قوائمها بعيدة عن صدرها . مشدودة الخ : عليها سروج جديدة من صنع الحيرة . (٩) فتاة الحي : هي زرقاء اليمامة وكانت حديدة البصر . الثمد : الماء . احكم : كن حكيما . (١٠) يحفه جانباً نيق : يحده

قالت : « الا ليتما هذا الحمامُ لنا الى حمامتنا او نصفه فقدِ » (١) .
فحسبوه فالفَوْه كما حسَبَت : تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد .
فكملت مائة فيها حمامتُها . واسرعت حسبةً في ذلك العدد .
فلا لعَمرُ الذي مسّحت كعبته ، وما هُريق على الانصاب من جسد (٢) .
والمؤمنِ العائذات الطيرَ يمسَحُها رُكبانُ مكةَ بين الغَيل والسند (٣) .
ما قلتُ من سيّءٍ مما أُتيتَ به اذا فلا رَفعَت سوطي اليّ يدي (٤) .
اذاً فعاقبني ربي معاقبة قرّت بها عينُ من يأتيك بالفَند (٥) .
هذا لاَبْرأ من قولٍ قُذفت به طارت نوافذه حَرّا على كبدي (٦) .
أُنبئت ان ابا قابوس اوعدني . ولا قرارَ على زأرٍ من الاسد (٧) .
مهلاً فداءٌ لك الاقوامُ كلّهمُ وما اثمّر من مالٍ ومن ولد .
لا تَقذِفنّي بركنٍ لا كفاءَ له وان تأثّفك الاعداء بالرَفَد (٨) .

جانبا جبلين مرتفعين . مثل الزجاجة : كناية عن العين الصحيحة الصافية . لم تكحل من الرمد : لم تصب بالرمد فتحتاج الى الكحل .

(١) فقد : حسب (فقط) . الفوه : وجدوه .

(٢) اقسم بالذي مسحت كعبته (بيدي تبركا) اي بالله . هريق : فعل ماض مبني للمجهول من هراق . الجسد : الدم (٣) المؤمن الذي امنها الا تصاد (اي الله) . العائذات : (الحمام) اللاجئات . يمسحها : يلمسها (٤) مما اتيت به : مما نقله الواشون اليك . فلا رفعت سوطي الي يدي : دعوة على يده بالشلل .

(٥) الكذب . (٦) القذف : التهمة . طارت نوافذه الخ : نفذت اقواله القاسية في كبدي . (٧) اوعد : توعد ، تهدد . ـ ولا اطمئنان مع سماع صوت الاسد . (٨) لا تقذفني بركن لا كفاء له : لا تجعل خصمي مقتدراً لا طاقة لاحد به (لا تكن ات خصمي) . كفاء : مثيل ، نظير . تأثفك : احاطوا بك . الاعداء : اعدائي . الرفد : المظاهرة ومساعدة بعضهم بعضاً للوشاية بي عندك .

فما الفراتُ ، وان جاشت غواربهُ ترمى اواذيّه العبرين بالزبد (١) .
يمدّه كل وادٍ مُترَعٍ لَجِبٍ فيه حُطام من اليَنبوتِ والخضَد (٢) .
يظَلّ من خوفه الملاحُ مُعتصماً بالخَيزُرانة بعد الأيْنِ والنَجَد (٣) .
يوماً باجودَ منه سيبَ نافلةٍ . ولا يَحولُ عَطاءُ اليوم دون غد (٤) .
هذا الثناءُ ، فان تسمع لقائلهِ فلم اعرّض ، ابيتَ اللعن ، بالصفد (٥) .
ها ان ذي عِذرةٌ الاّ تكن نفعت فانّ صاحبها مُشارك النكد (٦) .

---

(١) جاشت : اضطربت . غواربه : اعالي الموج . الاواذي : الامواج . العبرين : الشطين . (٢) يمده : يصير فيه . واد : (هنا) السيل الجاري في الوادي . خطام : قطع (جرفها السيل) . اليَنبوت : نوع من الشجر . الخضد : النبات والاغصان المتكسرة . (٣) الملاح : البحري . الخيزرانة : دفة المركب . الاين : التعب . النجد : العرق المتصبب من اجهاد الجسد ومن التعب . (٤) سيب نافلة : العطاء الزائد . وهو اذا اعطى اليوم لا يمنع اعطاءه غداً . (٥) الصفد : العطاء . — يقول : انا اثني عليك ولا اطلب (الآن) على ذلك عطاء . (٦) العذرة : الاعتذار . — واذا لم ترض عني فاني اظل منكد العيش .

٤ - زهير بن ابي سُلمى (١)

توفي نحو عام ١٤ ق هـ (٦٠٩ م)

ليس بعجيب ان ينادي رجل بالسلم في زمن كان
الناس يعتقدون فيه ان الحرب هي السبيل
الوحيد لاحقاق الحق ؟

١ . **موجز ترجمته** يُعرف زهير بن ابي سُلمى بانه مُزَني ، نسبةً في الاغلب الى جدة له كان اسمها مزينة ، ومرجع نسبه الى غطفان من عرب الشمال كانوا من ساكني نجد . وغطفان هو الجذم الذي ينتمي اليه بنو عبس وبنو ذبيان . وليس لنا من سبيل الى ان نعرف عن الرجل في مطلع حياته اكثر من ذلك .

ولكننا اذا راجعنا شعره — ومعلقته خاصة — نعلم ان اسماء الاماكن التي يذكرها معروفة في ارض غطفان في شمال الحجاز : فالمتثلم تلة هناك او واد . والدراج حرة — ارض بركانية — في الاغلب في ذلك الجوار . واما الرقمتان فواحتان على مقربة من يثرب . من هذا كله نعلم ان زهيراً عاش في شمالي الحجاز على اطراف نجد . ونلاحظ من المعلقة ايضاً انه كان لزهير زوج كنيتها «ام اوفى» ولدت له اولاداً عدة ، ماتوا كلهم صغاراً . ثم تزوج بعد ذلك امرأة اخرى هي ام ولديه كعب وبجير ، فغارت من ذلك ام اوفى وآذته فطلقها ، فلما انكشف عنه الغضب احب مراجعتها فابت فقال :

لقد باليت مظعن ام اوفى ولكنْ ام اوفى لا تبالي .

وعُمِّر زهير حتى بلغ تسعين عاماً او تزيد .

٢ . **حرب داحس والغبراء** اما اهم حادث اثر في نفس زهير ، ثم ترك آثاراً في ديوانه كله فهو حرب داحس والغبراء ، وهي مناوشات ملأت اربعين عاماً (٥٤ — ١٤ قبل الهجرة اي من ٥٦٨ — ٦٠٨ للميلاد) ولكنها جعلت من زهير صاحب معلقة ومن هرم بن سنان والحارث بن عوف علمين في عالم السلام وفي تاريخ الادب . اما سبب هذه الحرب فموجز فيما يلي :

(١) راجع مجلة الامالي (بيروت) السنة الثانية ، العدد الخامس ، ص ١٠ — ١٣ .

كان داحس فرساً كريماً سريعاً ولكنه غير فاره (لا يدل منظره على كرم اصله) فجرى ذكره ذات يوم في حلقة من القوم ، فاشاد به بعض وحقره آخرون ، وانتهى بهم الامر الى ان عقدوا رهاناً (لم يعلم به صاحب داحس) على الصورة الآتية :

يُنزِل قيس بن زهير العبسي داحساً والغبراء (فرسين له مذكراً ومؤنثاً) ويُجري رجل من غطفان فرسين ايضاً ، ويكون المدى مائة غلوة (٣٠٠٠٠ ـ ٥٠٠٠٠) ذراع ، والهدف ذات الاصاد. اما الحكَم فجعلوه رجلاً من ثعلبة. وجعلوا علامة السبق ان يصل الجواد السابق الى بركة معينة ويكرع فيها .

وكمن قوم من بني فزارة (من غطفان) عند ثنيه بين المبتدأ والهدف . فلما بدا داحس ـ وكان السابق ـ عرفوه فامسكوه . ثم اتت الغبراء وراءَه مصلية (ثانية) فلم يعرفوها فيمسكوها . وظل الفزاريون ممسكين داحساً حتى مضت الخيل واستهلت من الثنية فاطلقوه فراح يركض ويتخطى الخيل واحداً واحداً الا الغبراء (وداحس والغبراء لرجل واحد) . ولو طال المدى لسبقها ايضاً . ومع هذا كله فقد وصلت الغبراء سابقة وداحس مصلياً او ثانياً . الا ان الفزاريين اعترضوها مرة ثانية قبيل الهدف وردوها عن البركة .

وطلب العبسيون (حزب داحس والغبراء) حقهم من الرهان وقدره عشرون من الابل فلم يعطهم الفزاريون شيئاً . ولم يستطيعوا هم مقاتلتهم ساعتئذ وليس معهم غير ابيات قليلة (اى لم يكن معهم من انصارهم الا عدد قليل) . غير ان الحرب نشبت فيما بعد بين فزارة وعبس ، ثم جُرّت اليها قبائل اخرى من غطفان . ولقد دامت العداوة والمناوشات بين القوم اربعين عاماً فيما يزعمون . ولكن يجب الا نعتقد ان القتال ظلّ ملتحماً اربعين سنة ، بل ان العداوة فقط دامت تلك السنين . اما القتال فكان بين الفينة والفينة فقط . ولم يكن عدد القتلى عظيماً جداً كما نتخيل نتيجة لحرب تدوم هذا العدد الكثير من الاعوام .

٣. **الصلح سبب المعلقة** قيل ان الحارث بن عوف المرى خطب بهيسة بنت اوس ابن الحارث العبسي في حديث طويل جداً . وكان الحارث سيداً في قومه ، واوس بن

الحارث معروفاً بالغزة . ولقد كان من امر بهيسة انها ابت ان يبني بها الحارث قبل ان يمشي بالصلح بين القوم . وهكذا مشى الحارث بالصلح وساعده في غايته رجل آخر من قبيلته بني مرة وهو هرم بن سنان . فاحتسبت عندئذ عبس وذبيان قتلاها الا ما زاد ، فاحتمل هرم والحارث الديات الزائدة فكانت ثلاثة آلاف من الابل وفوها في ثلاثة اعوام . وهكذا وضعت حرب داحس والغبراء اوزارها ، وعلا اسم هرم والحارث في تاريخ الحرب والسلم ، وعلا معهما اسم زهير بن ابي سلمى .

٤. — زهير في رأي الرواة والنقاد

١ ـ زهير احد الثلاثة (امرؤ القيس ، زهير ، النابغة) المقدمين على سائر الشعراء .

٢ ـ قال جرير : زهير شاعر اهل الجاهلية زهير .

٣ ـ قال عمر بن الخطاب (رضه) : زهير شاعر الشعراء . . . كان لا يعاظل في الكلام (يداخل بعضه في بعض) ، وكان يتجنب وحشي الكلام ، ولم يمدح احداً الا بما فيه . . . ولا يقول الا ما يعرف .

٤ ـ قال محمد بن سلام الجمحي : ان من قدم زهيراً احتج بانه كان احسنهم شعراً ، وابعدهم من سُخف ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ ، واشدهم مبالغة في المدح مع الاحتياط حتى لا يخرج بمعانيه الى الغلو ، كقوله :

لو كان يقعد فوق الشمس من احد قوم باحسابهم او مجدهم قعدوا .

فتفطن الى قوله «لو» .

وكان زهير اكثر الشعراء (الجاهليين) امثالا في شعره ، على ما ترى في ختام معلقته.

٥ ـ قال ابن الاعرابي : كان لزهير ما لم يكن لغيره ، وكان ابوه شاعراً ، وخاله (بشامة) شاعراً ، واختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، وابناه كعب وبجير شاعرين .

٦ ـ كان زهير من عبيد الشعراء لانه من الذين ينقحون ما ينظمون ولا يذهبون به مذهب المطبوعين الذين يرسلونه على السجية والفطرة .

٥. مميزات زهير اذا قبلنا اقوال الرواة في زهير وجدناها تقرب من الحقيقة كثيراً . ولقد امتاز شعره بما يلي :

أ ــ فصاحة الالفاظ ــ كان زهير من ارغب الشعراء عن الكلمات الغريبة البعيدة عن المألوف . فقد كان يتجنب حوشي الكلام او وحشي الكلام ، وكلاهما بمعنى . على ان الفاظه كانت جزلة ، نقصد بذلك انها تقع في مواقعها الصحيحة المخصوصة .

ب ــ سهولة التركيب ــ وكذلك كان زهير سهل التركيب « لا يعاظل في الكلام » لا يداخل بعضه في بعض عند التركيب ، فلا تبعد ابياته عن الفهم . على ان تراكيبه كانت بليغة تجري على اساليب العرب ، وكانت متينة لا ضعف في بنائها ولا غمز في صحتها ، فلقد كان ينقح ما ينظم . زعموا ان قصائده تسمى الحوليات ، يقصدون انه ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، وينقحها في اربعة اشهر ، ثم يعرضها على اصحابه في اربعة اشهر . ومع ان في هذه الرواية مبالغة لا يقبلها التحقيق في جميع قصائد زهير ولا في بعض قصائده ، فانها تدل بلا شك على شدة عنايته بتنقيح ما ينظم .

ج ــ بساطة الاسلوب ــ وسبيل زهير في ايراد افكاره وعرض آرائه بسيط للغاية ليس فيه تعمق ولا بعد متخيل ــ كما ترى عند امرىء القيس مثلاً ــ .

د ــ صدق القول ــ تظهر روعة شعر زهير في صدقه اذا نظم . ومع ان الصدق في التعبير عما يجول في النفس ميزة من ميزات الشعر الجاهلي عامة فانه ميزة من ميزات زهير خاصة ، تعلم ذلك من مدحه لهرم بن سنان والحارث بن عوف . فانه لم يزد في مدحهما شيئاً على ذكر فضلهما على وقف الحرب . وهذا ما حدا النقاد الى القول بانه لا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . ولذلك قال النقاد ان زهيراً اشعر الناس اذا رغب .

هـ ــ النضج ــ ومع ان زهيراً عمّر طويلاً ، فانه لم يترك لنا ديواناً كبيراً ، الا ان ما تركه من الشعر موسوم بالنضج وبالحكمة التي يخلقها التقدم في السن ، ولذلك قال النقاد انه اكثر الشعراء امثالاً في شعره . فلا عجب اذن اذا رأينا زهيراً يقف في قومه واعظاً ونصيحاً يحضهم على السلم وينفرهم من الحرب .

فنونه واغراضه ليس لزهير فنون مستقلة يعالجها في قصائد او مقطعات خاصة ، ولكنْ له اغراضٌ يجمع عدداً منها في كل قصيدة . واغراضه هذه تدور على ما يلي :

أ. المديح ــ واكثر مديحه في هرم بن سنان بن ابي حارثة احد صاحبي الصلح في

حرب داحس والغبراء . وكان يمدحه اعجاباً به وبشهامته في تحمل ديات القتلى (مع الحارث بن عوف) . وأُعجِبَ هرم بزهير فحلف الا يمدحه زهير الا اعطاه ، ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او وليدة او فرساً . ويبدو ان مدائح زهير في هرم لم تكن للتكسب وكان يأبى ان يأخذ منه مالا . فكان اذا رآه في مَلأٍ (في جمع من الناس) قال : «عُمُوا صباحاً غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكُمُ استثنيت !» وكذلك كان زهير متصلاً بآل هرم من قبلُ فقد مدح والد هرم ورثاه .

واوجه المديح عند زهير القوة والشجاعة في الحرب ، ثم المجد والعز وكرم الاصل ، ثم الكرم وفعل الخير وحمل المغارم وتفريج الكرُبات ، ثم التقوى والخلق الجميل .

ب. العتاب والوعيد والهجاء — ولزهير عتاب قليل في امرأته ام كعب مثلاً ، او في اقوام ظلموا غيرَهم ، وقلما كان يعاتب زهير احداً لامر شخصي . وكذلك لم يكن وعيده ولا هجاؤه شخصيين ولكن في سبيل القبيلة . وليس له في ذلك ميزة بارزة تميزه من غيره من الشعراء .

ج. الوصف — والوصف من اغراض زهير البارزة فهو يهتم كثيراً بوصف الاطلال ووصف الراحلة (الناقة) ، وهو يصف الصيد ، ويحسن وصف الخيل في الحرب ووصف الحرب عامة ، وله وصف في الخمر .

د. النسيب والغزل — وهو يجري فيها على سنة الجاهليين في مطالع القصائد او في ثناياها ، على انها عفيفان بخلاف ما عرفنا عند امرىء القيس وطرفة .

هـ. الادب والحكمة — اشتهر زهير بان يقول في الادب والحكمة على قلة ذلك في ديوانه حتى بالاضافة الى طرفة . ولكن النُضج الذي وصل اليه زهير مكنه من ان يبدي آراء له متزنة صائبة ، الا ان هذه الآراء مبنية على اختبار طويل وعِبرة مستمدة مما كان يرى الشاعر حوله ، ولذلك كانت من باب النصح والمواعظ وضرب الامثال .

هذه الحكم منثورة في قصائده ، اما اكبر مجموع منها فموجود في ختام معلقته على اختلاف في عدد الابيات (حسب الروايات المختلفة) وعلى اختلاف في الترتيب ايضاً . وبينما كنت ترى ان حكم طرفة كانت حكماً شخصية ذات طابع خاص لانها تمثل آلامه في الحياة وتعبر عن رأيه هو فيها بصرف النظر عما يقبله المجتمع او لا يقبله ، كنت ترى

حكم زهير عامة لا اثر للطابع الشخصي فيها (اللهم الا فضل التعبير عنها)، وذلك لانها مستوحاة من الحياة الاجتماعية ومن اختبار البشر في حياتهم المتطاولة.

معلقة زهير بن ابي سلمى

كان وردُ بن حابس العبسي قد قتل هَرِم بن ضمضم المري، من بني ذبيان، فتشاجرت عبس وذبيان قبل الصلح (الذي ختمت به حرب داحس والغبراء). فحلف الحصين بن ضمضم، اخو هرم هذا، الا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس او رجلاً آخر من عبس ... ولم يطلع على ذلك احداً. فاتفق ان نزل رجل من بني عبس على الحصين بن ضمضم (ضيفاً)، فقتله الحصين.

اراد بنو عبس ان يقتلوا الحارث بن عوف المري، احد الرجلين اللذين احتملا جميع الديات في قتلى حرب داحس والغبراء. فلما علم الحارث بذلك ارسل مائة من الامل مع ابنه الى بني عبس وخيرهم اما ان يأخذوا الابل دية قتيلهم او ان يقتلوا ابنه ... فقالوا: «بل نأخذ الابل ونصالح قومنا ونتم الصلح». فقال زهير معلقته يمدح الحارث ابن عوف وهرم بن سنان ويذكر صلح داحس والغبراء واسْرَ الحصين بن ضمضم.

تبلغ ابيات معلقة زهير حسب رواية ابي زيد القرشي في كتابه جمهرة اشعار العرب ٦٤ بيتاً مفصلة كما يلي:

١ ـ مقدمة المعلقة (١-١٦). يقف زهير على طلل امرأته ام اوفى في جوار يثرب بعد انقضاء عشرين سنة على انتقال ام اوفى عنه، وقد اخذت الظباء وبقر الوحش تروح وتغدو عليه لطول ما هُجر. وليس من الغريب اذن ان نراه يقول: «فلأياً عرفت الدار بعد توهم». غير انه يستطيع ـ بعد انقضاء تلك السنين العشرين ـ ان يتبين حجارة المواقد، والحاجز الذي كان يرد الماء عن الخيمة. يقف زهير الآن ويتخيل سير الظعائن ـ التي غادرت المكان قبل عشرين عاماً ـ من فوق جُرثُم، وهو ماء لمزينة. ثم يصف الهودج ويصف المسير، ويمزج ذلك بشيء من النسيب.

أمِنْ امّ اوفى دِمنةٌ، لم تكلّم، بحَوْمانة الدّراج فالمتثلّمِ (١).

---

(١) دمنة: آثار الدار، طلل. تكلم: تتكلم.

ودار لها بالرقمتين ، كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم (١) .
بها العين والآرام يمشين خلفة ، واطلاؤها ينهض من كل مجثم (٢) .
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم (٣) .
أثافيُ سفعاً في معرّس مرجل ، ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم (٤) .
فلما عرفتُ الدار قلت لربعها : «الا انعم صباحاً ايها الربع واسلم» (٥) .
تبصّر خليلي ، هل ترى من ظعائن تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم (٦) ؟
علون بانماط عتاق وكلة ووراد حواشيها مشاكهة الدم (٧) .
جعلن القنان عن يمين وجزنه وكم بالقنان من محلّ ومحرم (٨) !
ظهرن من السوبان ثم جزعنه على كل قينيّ قشيب ومفأم (٩) .
وورّكن في السوبان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم (١٠) .

---

(١)... كأنها بقايا وشم على يد تجعدت بالسنين (الوشم يكون ابين على اليد البيضاء الملمساء منه على اليد المجعدة). (٢) خلفة : فوجاً بعد فوج. اطلاء جمع طلي : ابن الظبية. مجثم : مكان الجثوم : قعود الحيوان . (٣) حجة : سنة . لأياً : مشقة وبطء . توهم : ظن (ما عرفت مكان الدار بالتأكيد) . (٤) الاثافي (جمع اثفية) : الحجارة التي توضع عليه القدر (حجارة الموقد). سفعاً : سوداً . معرس : مكان . مرجل : القدر العظيمة. نؤي : خندق يحفر حول الخيمه . جذم : اصل ، اساس . تثلم : تشقق . (٥) الربع : المكان الذي ينزل فيه البدو في ايام الربيع. (٦) ظعائن جمع ظعينة : المرأة المسافرة على الجمل . تحملن : ارتحلن ، سافرن . (٧) علون : ارتفعن على (هودج) فيه انماط (ثياب) عتاق (جيدة ، ثمينة) . الكلة : ستارة (ناموسية) . وراد : وردية اللون . الحواشي : الاطراف . مشاكهة : مشابهة . (٨) القنان اسم جبل . جزنه : قطعنه (وفي جميع الروايات : حزنه ـ يعني ـ سهله ـ ولكنه بعيد عن المعقول . المحل : الساكن دائماً . المحرم : الساكن موقتاً. وقيل المحل : الذي ليست له حرمة ، عدو . والمحرم الذي له حرمة ، صديق . (٩) السوبان اسم واد . جزعنه : قطعنه . قيني قشيب ومفأم : (رحل ، سرج ، هودج) جديد واسع من صنع احد بني القين ، يعني جيد الصنع. (١٠) ورك : مال . متنه : ظهره . دل : دلال ، غنج . الناعم المتنعم : العائش في النعيم .

كأن فتات العِهْن في كل منزِل نزَلن به حبّ الفَنا لم يُحطم (١) .
بكرْن بُكوراً واستحرْن بسُحرة فهن ووادي الرَسّ كاليد في الفم (٢) .
فلما وردْن الماء زُرقاً جمامه وضعن عِصِيّ الحاضر المتخيِم (٣) .
وفيهن مَلهىً للطيف ومَنظر انيقٌ لعين الناظر المتوسِم (٤) .
تذكرني الاحلامَ ليلى ، ومن تَطُف عليه خيالاتُ الاحبّة يحلُم (٥) .

٢ ـ مدح هرم والحارث (١٧–٢٦) . وهنا يقفز زهير الى مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان فيرينا اياهما يشفقان على ما اصاب القبيلة من جراء الحرب ويسعيان الى السلام بعد ان كادت قبيلتا عبس وذبيان ان تتفانيا . ثم يبسط فلسفتهما في استخدام الاقناع والمال في سبيل وقف الحرب :

سعى ساعياً غَيظ بن مُرة بعد ما تبزّل ما بين العشيرة بالدم (٦) .
فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال، بَنَوْهُ، من قريش وجُرهُم (٧) .
يميناً : لَنِعْم السيّدان وُجدتما على كل حال من سَحيل ومُبرَم (٨) .
تداركتما عَبْساً وذُبيان بعد ما تفانَوا ودقوا بينهم عِطر مَنشَم (٩) .

---

(١) العهن : الصوف المصبوغ . الفنا : شجر له حب صغير احمر . يحطم : يكسر (يعني زين هؤلاء النسوة هودجهن بصوف احمر ، فكلما نزل في مكان بقي فيه شيء من آثار هذا الصوف). (٢) استحر: مشى في السحرة (آخر الليل). كاليد في الفم : قريب. (٣) جمام : اطراف . الحاضر : النازل في الحاضرة (المدينة) . (٤) انيق : جميل . المتوسم : المتطلع ، المتفرس . (٥) يحلم : يرى طيف حبيبته في منامه .

(٦) الساعيان : المصلحان (الحارث بن عوف وهرم بن سنان) . تبزل : تشقق (يعني بعد ان فرق القتال بين القبيلة الواحدة : غطفان ، اي عبس وذبيان) . (٧) البيت: الكعبة. (٨) السحيل ضد المبرم: الحبل المفتول جيداً (يعني في الرخاء وفي الشدة). (٩) تفانوا : افنى بعضهم بعضاً . دقوا بينهم عطر منشم : اشتدوا في قتل بعضهم بعضا (اما تخريج هذا المثل فله روايات مختلفة) .

وقد قلتما : « ان نُدرِكِ السِّلم واسعاً بمال ومعروف من الامر نسلم ! »
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عُقوق ومأثم .
عظيمين في عُليا مَعَدّ هُديتما . ومن يَستبحْ كنزاً من المجد يَعظُم !
واصبح يجري فيهمُ من تِلادكم مَغانم شتى من إفال مُزَنَّم (١) .
تُعفّى الكلوم بالمئينَ فاصبحت يُنَجّمها من ليس فيها بمُجرِم (٢) .
ينجّمها قوم لقوم غرامة ولم يُهريقوا بينهم ملءَ مِحجَم (٣) .

٣ ـ نصح المتقاتلين ووصف اهوال الحرب (٢٧-٣٨) . ويتخلص زهير الى نصيحة المتحاربين فيأمرهم بالاخلاص ونفض الصدور من الحقد والضغائن ، لان الله يعلم كل شيء وان اخفيتموه .

ثم يمضي في وصف اهوالها ونتائجها حتى يصورها اقبح صورة واصدقها .

الا ابلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان : هل اقسمتمُ كل مُقسَم (٤) ؟
فلا تكتُمُنّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى . ومهما يُكتَمِ اللهَ يَعلمِ .
يُؤخّر فيوضعْ في كتاب فيُدّخرْ ليوم الحساب ، او يُعجّل فيُنقَم .
وما الحرب الا ما علمتمْ وذُقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجّم (٥) .
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتَضْرَ اذ ضرّيتموها فتَضرَم (٦) .
فتعرُككمُ عَرْكَ الرَحى بثِفالها وتَلقح كِشافاً ثم تُنتَج فتُتئِم (٧) .

---

(١) التلاد : الاموال الموروثة . الافال : اولاد الابل . مزنم : جعلت له علامة في اذنه دلالة على اصله . (٢) تعفى تمسح ، تمحى . الكلوم : الجروح . المئون : جمع مائة (اي بمائة جمل لكل قتيل) . ينجم : يدفع في وقت معين . مجرم : مذنب . (٣) ... ولم يسفكوا من الدم مقدار محجم (اناء صغير يستخرج به الدم من الجسم بعد تشطيبه بالموسى) (٤) الاحلاف : المتحالفون وهم هنا بنو اسد وغطفان .

(٥) المرجم : المظنون ، المأخوذ بالظن . (٦) تضرى : تهيج ، ضرّى النار : اججها ، وضع فيها وقوداً . تضرم : تشتعل بشدة . (٧) عرك : طحن . الرحى : حجر الطاحون . الثفال : جلد يوضع تحت الطاحون (اي كما ينزل الحب طحيناً على الثفال) . تلقح كشافاً : تحمل كل سنة (باستمرار) . تنتج فتتئم : تلد توائم (تأتي بمصائب كثيرة) .

فتُنتِج لكم غِلمانَ اشأمَ كلُّهم كاحمر عادٍ ثم تُرضع فتَفطِم (١) .
فتُغلل لكم ما لا تُغلّ لاهلها قُرىً بالعراق من قَفيز ودرهم (٢) .
رَعوا ما رعوا من ظِمئهم ثم اوردوا غِماراً تفرّى بالسلاح وبالدم (٣) .
فقضّوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلاءٍ مُستوبَلٍ مُتوخَم (٤) .

٤ ــ غدرة الحصين بن ضمضم (٣٩-٤٧) . هنا يعرض زهير لقضية الحصين بن ضمضم ، وهي ان وردَ بنَ حابس العبسيّ كان قد قتل هرم بن ضمضم . فلما احتمل الحارث بن عوف وهرم بن سنان ديات القتلى في اثناء حرب داحس والغبراء ظن الجميع ان دية هرم ابن ضمضم داخلة في ذلك ، واعتبروا هذه القضية منتهية . الا ان الحصين بن ضمضم اخا هرم بن ضمضم استتر وتوارى كيلا يكون شهوده الصلحَ اعتراقاً ضمنياً منه بالعفو عن دم اخيه . وفي ذات يوم لقي الحصين رجلًا عبسياً فقتله ثأراً لاخيه ، فغضب بنو عبس وساروا يريدون قتل الحارث (بن عوف) وكادت الحرب تعود سيرتها الاولى . الا ان الحارث بن عوف تلافى المغبة بمئة جديدة من الابل غَرِمها من ماله ، حتى ساد السلام تاماً بين عبس وابناء عمهم بني ذبيان .

لعَمري ، لنِعْمَ الحيّ جرّ عليهمُ بما لا يؤاتيهم حُصين بن ضَمضَم (٥) .
وكان طوى كشحاً على مُستكنّة ، فلا هو ابداها ولم يتقدّم (٦) .

---

(١) غلمان اشأم : غلمان شؤم. احمر عاد فتى من ثمود نحر ناقة النبي صالح بعد ان نهى النبي قومه عن اذيتها ، فعاقب الله بذلك ثمود كلها . (٢)... تغل لكم دما وقتلا ومصائب اكثر مما تغل بلاد العراق والخصبة من الغلال والمال كانت الضرائب تجمع في العراق على كل نخلة مثلا او على كل مساحة معينة من الارض قفيزاً (كيلًا معيناً) من الثمر ودرهماً نقداً . (٣) الظمء : العطش (مدة ما بين الشربتين للابل ، يقصد المدنة) . غمار : (معارك) . تفرى : تتفرى اي تتفجر . (٤) كلاء : عشب . مستوبل : فيه وبال اي هلاك . متوخم : وخيم العاقبة (بعد المعارك كان المتحاربون يتألمون من نتائج الحرب) .

(٥) جر عليهم : جنى عليهم . يؤاتيهم : يوافقهم ، يفيدهم . (٦) طوى كشحاً : كتم . مستكنة : ضغينة (مكتومة) . لم يتقدم : لم يأت لاخذ دية اخيه .

وقال : « سأقضي حاجتي ثم اتقي عدوّي بألفٍ من ورائيَ مُلجم (١) .
فشدّ ، ولم يُفزع بيوتاً كثيرة ، لدى حيث القت رَحلها ام قَشعَم (٢) .
لدى اسد شاكي السلاح مُقذّفٍ ، له لبدٌ ، أظفارُه لم تُقلّم (٣) .
جريءٍ متى يُظلَمْ يُعاقب بظلمه سريعاً ، والاّ يُبدَ بالظلم يَظلم (٤) .
لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم دم ابنِ نَهيكٍ او قتيل المثلّم (٥) .
ولا شاركت في الحرب في دم نوفل ، ولا وهب منهم ، ولا ابن المخزّم (٦) .
فكلاّ اراهم اصبحوا يَعقِلونهم عُلالةَ الفٍ بعد الف مُصتّم (٧) .
تساق الى قوم لقوم غرامةً صحيحات مال طالعات بمَخرَم (٨) .
لحيّ حَلال يعصِم الناسَ امرُهم اذا طرَقت احدى الليالي بمُعظِم (٩) .
كرام فلا ذو الضِغن يُدرِك تبله ، ولا الجارم الجاني عليهم يُسلَم (١٠) .

---

(١) سأقضي حاجتي : سآخذ بثأري . ـ سأحتمي من عدوي بالف فارس . (٢) فشد ... هجم على عدوه وحده ليأخذ بثأر اخيه فقط ولم يستعن باحد على ذلك فلم يعلم به احد . ام قشعم : (قيل) الموت ، الناقة ، الحرب ، العنكبوت . . . يقال ان ناقة شردت يوماً فاتفق ان مرت بنار مشبوبة فوقع فيها رحلها ـ اي ذهب الى حتفه . (٣) شاكي السلاح : تام السلاح قويه . مقذف : ضخم (او مختبر للحروب) . اللبد : صوف حول عنق الاسد (كناية عن القوة) . اظفاره لم تقلم : لم تُقص بعد (كناية عن فتوته ونشاطه وانه لم يشِخْ بعد) . (٤) الظلم : الاعتداء بالحرب . يصف هذا الرجل بانه متمرس بالقتال اذا هوجم اخذ بثأره ، وان لم يهاجمه احد هاجم هو ايضاً . (٥ و ٦) هؤلاء الذين دفعوا الديات لم يشتركوا في قتل ابن نهيك ووهب او نوفل ... (٧) يعقلونه : يؤدون ديته . علالة الف بعد الف : الف تامة كل عام . مصتم : كامل ، تام (لا عيب فيه) . (٨) المخرم : الطريق في الجبل . (٩) حلال : كثيرو العدد . يعصم الناس امرهم : لهم جاه يحمي الناس . معظم : حادث فظيع . (١٠) ـ هم اعزة (اقوياء) اذا قتلوا احداً لا يستطيع قومه ان يأخذوا منهم تبلا (ثأراً) ، وان لجأ اليهم جانٍ حموه ولم يسلموه الى خصومه .

٥ — حكم زهير (٤٨-٦٤) . تختلف الحكم في آخر معلقة زهير في ترتيبها وعدد ابياتها بين رواية ورواية . ولكنها على كل حال تنكشف عن «اصابة رأي» اكتسبها الشاعر من السنين الطوال التي عاشها، فهي وليدة الزمن ونتيجة التقدم في السن، ثم سردها في معلقته على غير نسق ولا نظام. غير انك تعجب ببعض هذه الابيات اذا تأملتها مفردة. ويجدر بنا ان نقول في هذا المقام ان هذه الحكم لا تحمل طابعاً شخصياً وانما هي من حكم الشعوب ودروس الزمان ، ويجوز ان يكون بعضها منحولاً .

سئمت تكاليف الحياة . ومن يعش ثمانين حولا ، لا أبا لك ، يسأم !
رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ . من تُصِبْ تُمِتْهُ ، ومن تُخطئْ يعمّر فيَهرَم (١) .
واعلم ما في اليوم ، والامس قبله ، ولكنني عن علم ما في غد عم (٢) .
ومن لا يصانعْ في امور كثيرة يُضرّسْ بأنياب ويُوطأ بمنسم (٣) .
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله على قومه يُستغنَ عنهُ ويذمم .
ومن يجعلِ المعروفَ من دون عرضه يَفِرهُ . ومن لا يَتّقِ الشتمَ يُشتم (٤) .
ومن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهدّمْ ، ومن لا يظلمِ الناسَ يُظلم (٥) .
ومن هاب اسباب المنايا يَنلْنَهُ وان يَرقَ اسباب السماء بسلّم (٦) .
ومن يَعصِ اطراف الزجاج فانه يُطيعُ العوالي رُكبت كل لهذَم (٧) .

---

(١) — رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشي الناقة العشواء (الضعيفة البصر) . فمن اتفق له حادث موت مات صغيراً او شاباً ، ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم . (٢) عم : اعمى . (٣) يصانع : يداري . يضرس : يمضغ . يوطأ بمنسم : يداس بارجل الابل . (٤) — من يبذل ماله ليصون عرضه يبق عرضه موفوراً (كريماً مصوناً) . يتقي : يتجنب . (٥) — من لم يدافع عن حوض الماء (كناية عن المال والعرض ، لان الماء اثمن شيء في الصحراء) بالسلاح ، يهدم حوضه (لكثرة من يجيء اليه للاستقاء منه . ومن لا يعتد على الناس (بحاربهم) يعتد الناس عليه . (٦) ومن حاول ان يتجنب الحوادث التي تؤدي عادة الى الموت (كالحرب والسفر والمرض) تناله تلك الحوادث او غيرها ولو صعد الى السماء . (٧) الزج حديد في كعب الرمح يشير بها الرجل

ومن يوف لا يُذمَمْ ، ومن يُهدَ قلبُه الى مُطمئن البِر لا يتجَمْجم (١) .
ومن يغتربْ يحسَبْ عدوّا صديقه . ومن لا يُكرِم نفسَه لا يكرّم .
ومهما تكنْ عند امرىء من خليقة ، وان خالها تخفى على الناس ، تُعلم (٢) .
ومن يجعلِ المعروفَ في غير اهلِه يكنْ حمدُه ذماً عليه ويندم .
وكائن ترى من صامت لك معجِبٍ ، زيادتهُ او نقصه في التكلم (٣) .
لسان الفتى نصفٌ ، ونصفٌ فؤاده . فلم يَبق الاّ صورة اللحم والدم !

وهكذا يبدو لنا زهير في معلقة خاصة رجلاً انسانياً جريئاً يحرص على ارواح قومه وآمالهم ، مستعداً لان يتناسى شخصيته اذا استطاع ان يضيعها في سبيل رفع مثل اعلى امام الامم والاقوام . وهو لا يحرص على خير الافراد فقط بل يفضل خير القبيلة على ذلك . بل هو اوسع في نظره يحب ان يشمل بخيره القبائل اجمع . ولا شك في ان شخصية الحارث بن عوف وهرم بن سنان ساعدته على ان يقف هذا الموقف . ويكفيه فخراً انه كان يجاهر بميله الى السلام وباعتقاده انه السبيل الصحيحة الى الحق في زمن كان كل فرد آخر يوقن ان الحرب وحدها هي التي تَرجِع الحقّ الى نصابه .

اذا كان مسالماً . العوالي : الرماح . لهذم . سنان الرمح ، اي الحديدة التي في اعلى الرمح ويشير بها الرجل اذا كان ينوي القتال — من لا يقبل السلم اذا عرض عليه يضطر الى خوض الحرب . (١) اوفى : اوفى بالعهد . البر : التقوى وطاعة الاقربين . يتجمجم : يتردد . (٢) خالها : ظنها . (٣) ربما ابصرت رجلاً صامتاً فاعجبك ، فاذا تكلم زاد مقامه في عينك او نقصت قيمته عندك .

٥. عنترة بن عمرو بن شداد

توفي نحو عام ٨ قبل الهجرة ٦١٤ م

قومه واسرته عنترة عربي من جهة الاب ، وهو من بني عبس ، ابناء عم بني ذبيان وخصومهم . اما امه فجارية حبشية في الاغلب اسمها زُبيبة ، فهو من اجل ذلك هجين (مختلط النسب) اسود ، ولذلك لم يلحقه ابوه بنسبه فظل عبداً على عادة العرب في ابنائهم من اولاد الاماء .

ونشأ عنترة في نجد عبداً يرعى الابل محتقراً في عين والده واعمامه واخوته الذين لبسوا من امه ، ولكنه نشأ شديداً بطاشاً ، شجاعاً كريم النفس كثير الوفاء . وكان في صغره قد عرف «عبلة» ، ابنة عمه مالك ، فاحبها حباً جماً وطمع بان يبني بها يوماً ما ، ولكن عمه مالكاً كان كثير التعنت فلم يرض ان يزوج ابنته بعبد اسود .

الا ان آله ادركوا بأسه وشجاعته فاحبوا ان يستغلوهما في حرب اعدائهم وخصومهم فكانوا يحرضونه دائماً على خوض المعارك ويمنونه مقابل ذلك ان يزوجوه بعبلة ، فاذا انجلت المعركة وادرك العبسيون ثأرهم او نالوا مآربهم حرموا عنترة من الغنيمة ونكثوا عهدهم اليه بزواج عبلة .

واخيراً اغار حي من العرب على بني عبس اغارة حملوا فيها كل شيء وسبَوا عبلة ايضاً . فلما جاءه ابوه يستثيره لخوض الحرب ، ابى وقال له : «العبد لا يحسن الكر ، بل يحسن الحِلاب والصَر (١)» . قال له ابوه : «كر يا عنترةُ وانت حر» . فلحق عنترة بالمغيرين واسترد منهم كل ما سلبوه . ويظهر ان اباه استلحقه بعد هذه الحادثة بنسبه ، ولكن عمه مالك لم يرض ان يزوجه عبلة .

وعُمِّرَ عنترة طويلاً وكان له ايام مشهورات في حرب وداحس والغبراء . وحارب ايضاً الفرس في يوم ذي قار (عام البعثة ، ٦١٠ م) . فلما وصل خبر تلك المعركة الى الرسول قال : «هذا اول يوم اخذت فيه العرب من العجم بحق !»

وبعد بضع سنوات خاض العبسيون معركة مع بني طيّ ، فيما يقال ، سقط فيها عنترة

---

(١) الكر : الهجوم على الاعداء . الحلاب : حلب النياق . الصر : ربط ضرع الناقة حتى لا يرضعها الفصيل (ولدها) .

قتيلاً عام ٨ ق. هـ (٦١٤ م) . ولعله مات عزباً ، اذ هو بلا شك لم يتزوج عبلة ، فعبلة تزوجها رجل غيره كما يظهر من شعره هو .

عناصر شخصيته لا نستطيع اليوم ان نميز بين العناصر الحقيقية في شخصية عنترة التاريخية وبين العناصر التي اضافتها الخرافة الى حياة هذا البطل الشاعر . ولكن مما لا ريب فيه ان عنترة كان بطلاً شجاعاً قوي الجسم ثبت الجنان . وكان فوق ذلك كريم النفس عفيفاً عن النساء عفيفاً من مكاسب الدنيا المادية حتى عن غنائم الحرب التي كان هو يهبها لبني عبس بسيفه . وكان كريماً بما ملكت يداه يقري الضيف ويسقي الخمر ، وكان ذا نجدة ينصر المظلوم والمستنجد به . الا انه كان في كل ذلك يأبى ان يظلمه احد ، وكل ذلك ظاهر في معلقته . وله في غير معلقته الشواهد المشهورة منها :

* ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انالَ به كريمَ المأكلِ .
* واغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها .
اني امرؤ سمح الخليقة ماجدٌ لا اتبع النفسَ اللجوج هواها .
* ولكن تبعدُ الفحشاءُ عني كبعد الارض عن جو السماء .

ويجدر بنا الا نُهملَ تحليلا نفسياً لعنترة ذكره عنترة عن نفسه ، وقد تعجب بعضهم من شجاعته ، فقال . « كنت اقدم اذا رأيت الاقدام عزماً واحجم اذا رأيت الاحجام حزما ولا ادخل موضعاً الا ارى لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فاثني عليه فاقتله » .

خصائصه وفنونه عنترة شاعر مقل اذا اعتبرنا الشعر الثابت له ، ولعل الناس لم ينحلوا شاعراً من الشعر ما نحلوا عنترة ، اعجاباً بفروسيته واشفاقاً عليه في حبه لعبلة وما لقي فيه من العذاب . وشعر عنترة اسهل من شعر طرفة وامرىء القيس والنابغة حتى ان في بعضه ركاكة كقوله .

سكتُ فغر اعدائي السكوتُ وظنوني لاهلي قد نسيت .
وكيف انام عن سادات قوم انا في فضل نعمتهم ربيت !
وان دارت بهم خيل الاعادي ونادَوْني اجبت متى دعيت .

على ان فيه رقة وسلاسة لا تجدها في سائر الشعر الجاهلي وخصوصاً في المعلقة ، تأمل

قوله فيها يخاطب عبلة .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منّي ، وبيض الهند تقطر من دمي ،
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم .

طرق عنترة فنين من فنون الشعر . الغزل والحماسة ، اما سائر الاغراض التي وردت في قصائده كالفخر والوصف وما الى ذلك فهي اما منطويه في باب الغزل والنسيب عنده ، او لاحقة بباب الحماسة .

١. **الغزل** غزل عنترة عفيف ، حلو في بعض الاحيان ، خشن في بعضها . وعنترة لا يجيد تحديث المحبوبة كامرىء القيس مثلا او كعمر ابن ابي ربيعة لانه يحاول ان يجتذبها بذكر وقائعه امامها وبتخويفها من عاقبة ضربه وطعنه على ما ترى في المعلقة ، او كقوله في مكان آخر .

يا عبلَ كم من غمرة باشرتُها بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي .
فلربّ ابلجَ مثلِ بعلِك بادنٍ ضخم على ظهر الجواد مهيّل .
غادرته متعفراً اوصاله . والقوم بين مجرّح ومجدّل .

والغزل الخالص في شعر عنترة نادر ، تجد منه ابياتاً في المعلقة (دار لآنسة . . . اذ تستبيك . . . وكأنما نظرت بعيني . . . الخ) او في قصيدته المعروفة بالعقيقية :

رفعوا القباب على وجوه اشرقت فيها فغيبت السهى في الفرقد .
واستوكفوا ماء العيون باعين مكحولة بالسحر لا بالاثمد .
يطلعن بين سوالف ومعاطف وقلائد من لؤلؤ وزبرجد .

واما النسيب فكثير يدور كله حوله التشوق الى عبلة والى تمنى العيش معها حول تذكيرها العهود و عتابها .

٢. **الحماسة** اشتهر عنترة بالحماسة (وصف المعارك ووصف اعماله فيها) خاصة . ومرجع اوصافه في ذلك امران . اولهما وصف حوادثه هو ، وهي حوادث مفردة قتل فيها فلاناً او فلاناً . وثانيهما وصف هجومه في قومه بني عبس على الاعداء ، وتجد على هذين كليهما نماذج في المعلقة . ويبدو من مراجعة قصائد عنترة في الحماسة انه يتناول فيها جميع ابواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش ، ولا شك في ان الرواة اضافوا الى عنترة اقوالا

كثيرة في ذلك . ومن اشهر اقوال عنترة وادلها على «العقلية العنترية» قوله .

اقمنا بالذوابل سوق حرب ... وصيّرنا النفوس لها متاعا (١) .
حصاني كان دلاّلَ المنايا ... فخاض غمارها وشرى وباعا .
وسيفي كان في الهيجا طبيباً ... يداوي رأس من يشكو الصُداعا
انا العبد الذي خُبِرّتَ عنه ... وقد عاينتني فدَعِ السَماعا .
ولو ارسلت ريحي معْ جبان ... لكان بهيبتي يلقي السباعا .
ملأتُ الارض خوفاً من حسامي ... وخصمي لم يجد فيها اتّساعا .
اذا الابطال فرت خوفَ بأسي ... ترى الاقطار باعاً او ذراعا .

ولا يغفل عنترة في اثناء حماسته ان يمحو آثار رقّه وسواد لونه بالافتخار باعماله واخلاقه .

* اني امرؤ ، من خير عبس منصباً ... شطري ، واحمي سائري بالمنصُل (٢) .
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت ... ألفيتُ خيراً من مُعَم مُخَوَل (٣) .
* لئن يُعيبوا سوادي فهو لي نسب ... يوم النزال اذا ما فاتني النسب .

وكنت اود ان احلل عدداً من اغراض عنترة ، الا ان هذه الاغراض جاهلية ترى مثلها عند سائر شعراء الجاهلية كالوقوف على الاطلال ووصف الناقة والتمدح بالكرم . ثم ان كثيراً من شعره منحول لا يستقيم فيه التحليل الشامل الدقيق .

معلقة عنترة

نظم عنترة معلقته بعد ان قتل هو ضمضماً المري ، ولكن قبل ان يتم صلح داحس والغبراء . وقبل ان يقتل وردُ بن حابسٍ هرمَ بن ضمضم على ما علمت في الكلام على زهير . وبما ان زهيراً يذكر قضية مقتل هرم بن ضمضم ، فمعلقة عنترة اذن نظمت قبل معلقة زهير بزمن قصير . وفي المعلقة بيت يدل على بدء النفور من العجم ، يقول عنترة عن ناقته .

---

(١) الذوابل : الرماح . المتاع : العروض التي تقع عليها التجارة .

(٢) شطري : نصفي ـ اشارة الى انه شريف من جهة ابيه ، وشطري تعرب مبتدأ . سائري : القسم الباقي منه ـ اي سبه من جهة امه . انه يدافع عنه بالسيف . المعم المخول : من له اعمام واخوال بعيد النسب اشراف .

شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

ولكنه لا يذكر معركة ذي قار فيها . من اجل ذلك كله نستطيع ان نقول ان عنترة نظم معلقته قبل ان ينتهي القرن السادس للميلاد او بعده بقليل (بين ٥٩٥ ــ ٦٠٥ م).

اما الرواية التي تزعم ان المعلقة هي اول شيء قاله عنترة من الشعر فلا يمكن ان نثق بها ، ذلك لان لعنترة شعراً يجب ان يكون قد قاله في شبابه يتعلق بحبه لعبلة وبطولته في الحروب . فاذا قبلنا انه لم يقل شعراً قبل ٥٩٥ م ، وجب ان ننكر كل شعر عنترة سوى المعلقة .

ويقول عنترة معلقته ليعاتب عبلة ويفتخر امامها بشجاعته وكرمه وليعاتب اباه وعمه اللذين ضنا عليه بعبلة زوجاً له ، قال .

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ، ام هل عَرَفتَ الدار بعد تَوَهُّمِ (١) ؟
يا دارَ عبلةَ بالجِواء تكلمي . وعِمي صباحاً ، دارَ عبلةَ ، واسلمي .
فوَقفت فيها ناقتي ، وكأنها فَدن ، لاقضيَ حاجةَ المتلوِّم (٢) .
وتحل عبلةُ بالجواء. واهلُنا بالحَزْن فالصَّمّان فالمتثلم
حييتَ من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد امّ الهيثم (٣) .
حلت بارض الزائرين ، فاصبحت عَسِراً عليّ طِلابك ، ابنةَ مَخرم (٤) .

---

(١) متردم : المكان الذي تهرأ في الثوب ثم اصلح برقعة . ــ يقولون قصد عنترة ان الاقدمين اتوا على جميع معاني الشعر فقالوها قبله . ــ وعندي ان متردم (بكسر الدال) . المتهدم ــ والمعنى . هل ترك الشعراء طللا لم يقفوا بعد عليه . والدليل على ذلك قوله : ام هل عرفت الدار بعد توهم ، فهو لم يعرف طلل عبلة بالتأكيد بل توهمه توهما . واما قوله فيما بعد : ما راعني ... الخ فليست اكثر من ذكرى قديمة خطرت للشاعر . (٢) فدن : القصر . المتلوم : الذي يمكث في المكان قليلا . ــ ربطت ناقتي هنالك لامر احب ان اقضيه . (٣) اقوى واقفر : خلا من السكان . ام الهيثم : عبلة(؟). (٤) الزائر . الذي يزأر وهو هنا الاسد او العدو (حلت بارض الاعداء) . ابنة مخرم . قالوا ينادي فتاة هي ابنة رجل اسمه مخرمة . ــ وعندي ان المخرم الطريق في الجبل ،

عُلِقْتُها عَرَضاً ، واقتل قومَها . زعماً لعمرُ ابيك ليس بمَزْعم (١) .
ولقد نزلتِ ، فلا تظني غيره ، مني بمنزلة المحبّ المكرَم
كيف المزارُ وقد تربّع اهلُها بعُنيزتين ، واهلنا بالغيلم (٢) ؟
ان كنتِ ازمعت الفراق فانما زُمّت ركابكمُ بليل مظلم (٣) .
ما راعني الا حمولةُ اهلها وسط الديار تسفّ حب الخمخم (٤) .
فيها اثنانِ واربعونَ حلوبةً سوداً كخافية الغراب الاسحم (٥) .
اذ تستبيك بذي غُروب واضحٍ عذبٍ مقبّلُه لذيذ المطعم (٦) .
وكانما نظرت بعينيْ شادنٍ رشأٍ من الغزلان ليس بتوأم (٧) .
وكأنّ فارةَ تاجرٍ بقسيمة سبقت عوارضُها اليك من الفم (٨) .
او روضةً انُفاً تضمّن نبتَها غيثٌ قليلُ الدمْن ليس بمعلَم (٩) .

وابنة مخرم ، اي تسكن ارض يقتضي الوصول اليها قطع طرق في الجبال ، وفي ذلك صعوبة كبيرة . (١) في تفسير هذا البيت اقوال ، لعل اصوبها ، يقولون انني احببت عبلة اتفاقاً ، فحبها من اجل ذلك ليس قوياً ولهذا انا اقتل اهلها وقومها . وليس ذلك صواباً . (٢) تربع : نزل في الربيع ـ والمقصود ان سكنانا بعيد من سكناهم . (٣) ازمع : قصد . زمت ركابكم : امرجتم جمالكم وحملتم عليها متاعكم . بليل مظلم : سراً . (٤) الحمولة : الجمال . الخمخم : ثمر اسود — ما عرفت الا واهلها يستعدون للرحيل . (٥) الحلوبة : الناقة التي تعطي حليباً . الخافية : الريشة الصغيرة في باطن جناح الطير . الاسحم : الشديد السواد . (٦) استبى وسبا : اسر بجماله . ذو غروب : ذو خطوط في الاسنان (الفم) . واضح : ابيض . (٧) الشادن والرشأ : الصغير من الغزلان . ليس بتوأم : ليس له مثيل (في جماله) . (٨) فارة المسك : وعاؤه . القسيمة : (المكان الذي تفتح فيه اوعية المسك) . العوارض : صفحات العنق . ـ تشم الرائحة الطيبة من فمها (اي رائحتها الطبيعية) قبل ان تشم الرائحة التي تضعها في عنقها (تتطيب بها) . (٩) الانف : التي لم يرعها احد بعد . الدمن : البقاء . ليس بمعلم : ليست بمكان معروف (يذهب اليها الناس دائماً) .

جادت عليها كلّ بكرٍ حرة فتركنَ كلّ قرارة كالدرهم (١) .
سحّا وتسكابا ، فكل عشية يجري عليها الماء لم يتصرّم (٢) .
وخلا الذُباب بها فليس ببارحٍ غرِداً كفعل الشارب المترنّم (٣) .
هزِجاً يحُكّ ذراعه بذراعه قدحَ المكبّ على الزِناد الاجذم (٤) .
تُمسي وتُصبح فوق ظهر حشيّة ، وابيتُ فوق سراة ادهمَ ملجم (٥) .
وحشيّتي سرج على عبل الشوى نهدٍ مراكلُه نبيلِ المحزِم (٦) .
هل تُبلغنّي دارَها شَدَنيةٌ ، لُعِنت بمحرومِ الشراب مُصرّم (٧) ؟
خطّارةٌ ، غبّ السُرى ، زيافةٌ تِطس الاكام بذات خُفٍّ مِيثَم (٨) .
وكأنما اقص الاكامَ عشيّة بقريب بين المنسمين مُصلّم (٩) ،
تأوي له قُلُصُ النَعام كما أوت حِزقٌ يمانيةٌ لاعجَم طِمطِم (١٠) .

---

(١) البكر : السحابة في اول الربيع . حرة : الخالصة البياض . — تجمع الماء في قرارات الارض فاصبح يرى (عن بعد) كانه الدراهم . (٢) السح والتسكاب : المطر المستمر . يتصرم : ينقطع . (٣) الذباب : (هنا) النحل . (٤) هزجاً : طروباً او سريعاً في حركته . يحك ذراعه بذراعه: يصفق الهواء بجناحيه فيحدث صوتاً — كما يفعل الرجل اذا انحنى على زناد (عود تقدح به النار) قصير فهو يبالغ في حكه حتى تخرج منه نار كافية . (٥) حشية : فراش . سراة : ظهر . ادهم : حصان اسود . (٦) عبل الشوى : غليظ القوائم (اي حصان...). نهد مراكله : عالية جوانبه ، والمركل هو المكان الذي يضربه الفارس بالمهماز في بطن الحصان . نبيل : ضخم . المحزم : حيث يشد الحزام . (٧) شدنية : ناقة... لعنت بمحروم الشراب : انقطع لبنها فكان اقوى على السير ، مصرم : مقطوع ايضاً . (٨) خطارة : تضرب جانبيها بذنبها (دلالة على نشاطها). غب السرى: بعد سير الليل. زيافة: سريعة . وطس: ضرب . الاكام: الاكم، التلال . الخف : قدم البعير . الميثم : الشديد الوطء والمشي . (اي بقوائم قوية) . (٩) اقص: اكسر. بقريب بين المنسمين: الظليم(ذكر النعام) لان ظفريه قريب احدهما من الآخر. مصلم : ليست له اذنان ظاهرتان وذلك من صفات الطيور . (١٠) تأوي له :

يتبعن قُلّة رأسه ، وكأنه حَرَجٌ على نعش لهنّ مخيّم (١) .
صعدٍ يعود بذي العشيرة بيضَه كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلم (٢) .
شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراءَ تنفر عن حياض الديلم (٣) .
وكأنما تأى بجانب دَفّها الـ وحشيّ من هَزِج العشيّ مُؤدّم (٤) .
هرّ جَنيبٍ كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم (٥) .
أبقى لها طولُ السفارِ مُقرمَداً سنداً ومثلَ دعائم المتخيم (٦) .
بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قَصَب أجشّ مُهضّم (٧) .
وكأن رُبّاً او كُحَيْلاً مُعقَداً حُشّ الوقودُ به جوانبَ قُمْقم (٨) .

تجتمع اليه . قلص النعام : اولادها . حزق : جماعات (من الابل) . الاعجم الطمطم : الذي لا يفهم العرب كلامه . ـ يقول : ينقنق هذا الظليم فتجتمع اليه فراخ النعام ، كما تجتمع الابل حول راعيها حينما يدعوها بصوت غير مفهوم ، ولكن ابلهُ قد ألفته منه .

(١) يتبعن قلة رأسه : تسير مهتدية باعلى رأسه . كأنه : كأن الظليم نفسه الحرج : مركب النساء كالهودج ونحوه . مخيم : مجعول خيمة . (٢) الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق . ذي العشيرة : موضع . يعود بيضه : يأتي ليتفقد بيضه مرة بعد مرة . الاصلم : مقطوع الاذن (صفة للعبد ؟) ـ يشبّه الظليم بعبد يلبس فروا سابغاً ، دلالة على ان النعام التي يصفها سود لا بيض . (٣) تعودت هذه الناقة ان تشرب من ينابع بلاد العرب . (الدحرضين : موضعان في بلاد العرب) فاصبحت تنفر من العجم ـ اشارة الى نفور العرب من العجم . (٤) الدف الوحشي : الجانب الايمن من البهائم . من هزج العشي : خوفاً من الذي يحدث صوتاً في الليل ، قيل الهر . مؤدم : عظيم الرأس ـ هذه الناقة تنفر في سيرها الى يمينها كانما هنالك هر يهاجمها عن يسارها . (٥) جنيب : مجنوب ، مربوط الى جانبها . (٦) السفار : السفر . مقرمداً : (سناما) متيناً كالقرميد ، وعالياً كالاعمدة التي ترفع عليها الخيمة . (٧) لما بركت (اناخت) ... احدثت صوتا كأنما كانت تبرك على قصب يابس . (٨) وكأن الصوت التي احدثت في بروكها يشبه صوت القطران (الكحيل والرب ؟) اذا وقد به بكثرة تحت القمقم (القدر الصغيرة) .

ان تغدفي دوني القناعَ فانني طَبٌّ باخذ الفارس المستلئم (١) .
أثني عليّ بما علمتِ فانني سَهْلٌ مخالقتي اذا لم أُظلم (٢) .
فاذا ظُلمت فان ظلمي باسلٌ مرٌّ مذاقتُه كطعم العلقم (٣) .
ولقد شربت من المُدامة بعدما ركَد الهواجرُ بالمَشوف المُعلم (٤) .
بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسِرّة قُرنت بازهرَ في الشمال مُفَدَّم (٥) .
فاذا شربت فانني مُستهلِكٌ مالي ، وعِرضي وافر لم يُكلم (٦) .
واذا صحوت فما أُقصّر عن ندًى ، وكما علمتِ شمائلي وتكرمي (٧) .
وخَليلِ غانية تركت مُجدّلا تمكو فريصته كشِدق الاعلم (٨) .
سبقت يداي له بعاجل طعنة ورَشاشِ نافذةٍ كلون العَنْدم (٩) .
هلاّ سألتِ الخيل يا ابنة مالك إن كنتِ جاهلة بما لم تَعلمي ؟
اذ لا ازال على رِحالة سابحٍ نَهْدٍ ، تَعاوُره الكُماةُ مُكلّم (١٠) .
طوراً يُجرّد للطعان ، وتارةً يأوي الى حَصِد القِسيّ عرمرم (١١) .

---

(١) اغدف القناع : اسدله على الوجه . طب : حاذق ، خبير . المستلئم : اللابس اللأمة (الدرع) — انا اتغلب على البطل الذي يلبس درعاً، أفلا اتغلب على امرأة تسدل على وجهها قناعاً ؟ (٢) سهل مخالقتي : معاشرتي سهلة . (٣) باسل : كريه . العلقم : نبات مر . (٤) المدامة : الخمر . ركد الهواجر : سكن الحر . المشوف المعلم : (الدينار) المجلو الذي فيه كتابة ونقش . (٥) امرّة : خطوط . ازهر : (ابريق) من فضة . مفدم : عليه الفدام (المصفاة) . (٦) وافر : موفور ، كامل . يكلم : يجرح . (٧) الندى : الكرم . الشمائل : الاخلاق الجميلة . (٨) خليل : زوج . الغانية : المرأة الجميلة المستغنية بجمالها عن الحلي . مجدلا : ملقى على الارض . تمكو فريصته : ترجف عضلته التي بين كتفه وخاصرته . الشدق : الفم . الاعلم : المشقوق الشفة العليا . (٩) نافذة : (طعنة) تخرق الجسم . الرشاش : ما تطاير من الدم . العندم : صباغ احمر . (١٠) رحالة : سرج . سابح : حصان سريع . نهد : عال . تعاوره : تحيط به وتطعنه مرة بعد مرة . الكماة : الابطال المدججين بالسلاح . مكلم : مجرح . (١١) يجرد : يهيأ . الحصد والعرمرم : الكثير

يخبرك من شهد الوقيعة انني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم (١) .
ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هرباً ولا مستسلم (٢) .
جادت يداي له بعاجل طعنه بمثقف صدق الكعوب مقوّم (٣) .
برحيبة الفرغين ، يهدي جرسها بالليل معتسّ الذئاب الضرّم (٤) .
فشككت بالرمح الاصمّ ثيابه . ليس الكريمُ على القنا بمحرّم (٥) .
فتركته جزرَ السباعِ يَنُشْنَهُ يَقضُمْنَ حسنَ بنانهِ والمِعصَم (٦) .
ومشكّ سابغةٍ هتكت فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلَم (٧) .
وربذٍ يداه بالقِداح اذا شتا هتّاك غاياتِ التجار ملوّم (٨) .

— مرة اهجم به على الاعداء ومرة ارجع به الى صفوف قومي المسلحين بالقوس والسهام يرمون بها العدو .

(١) الوقيعة : المعركة . — اشترك في القتال من غير ان آخذ شيئاً من الغنائم . (٢) المدجج (بفتح الجيم الاولى و كسرها) الكثير السلاح . — لا يهرب من المعركة ولا يستسلم لخصمه . (٣) المثقف : (الرمح) المقوم . صدق الكعوب : صلب ، قوي العقد (لان الرمح قد يكون من قصب فارسي) . (٤) رحيبة : واسعة . الفرغ : جانب الدلو ، حيث يصب الماء . الجرس : الصوت . المعتس : الذي يطلب شيئاً في الليل . الضرم جمع ضارم : جائع — ان صوت خروج الدم من هذا الجرح الواسع تسمعه الذئاب في الليل فتسرع الى صاحبه . (٥) الاصم : الصلب ، غير الاجوف . ثيابه : كناية عن جسمه كله . القنا : الرماح . (٦) جزر السباع : مذبوحاً لتأكله الوحوش . ناشه : تناوله من اطرافه . قضم : قطع باسنانه . البنان : رؤوس الاصابع . (٧) مشك سابغة : لابس درع ضافية واسعة . هتكت فروجها : شققت فيها شقوقاً واسعة . حامي الحقيقة : الذي يحمي عرض قومه واموالهم . معلم : كاشف عن وجهه (كان الابطال الشجعان لا يتقنعون في الحرب حتى يعرفهم خصومهم (٨) ربذ يداه بالقداح : بارع في لعب القمار . اذا شتا : في الشتاء (فذاك ادل على غنى صاحبه ، لان الشتاء في البادية فصل قحط) . هتاك غايات التجار : ممزق رايات تجار الخمر (كان تجار الخمر يرفعون راية ما دام عندهم خمراً ،

لما رآني قد نزلتُ اريده أبدى نواجذه لغير تبسُّم (١) .
فطعنتهُ بالرمح ثم علَوْته بمهند صافي الحديدة مخذَم (٢) .
عهدي به مَدّ النهارِ كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسُه بالعِظلِم (٣) .
بطلٌ كأنّ ثيابَه في سَرْحة يُحذى نِعالَ السِبْت، ليس بتوأم (٤) .
ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ مني ، وبيضُ الهند تقطر من دمي (٥) .
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم .
يا شاةَ ما قنَصٍ لمن حلّت له ، حَرُمت عليّ وليتها لم تَحرُم (٦) .
فبعثت جاريتي وقلت لها : «اذهبي فتجسّسي اخبارَها لي واعلمي» .
قالت . «رأيت من الاعادي غِرّة ، والشاةُ ممكنة لمن هو مُرتم (٧) .
وكأنما التفتت بجِيد جداية رشأٍ من الغِزلان حُرّ ارثم» (٨) .
نبئتُ عَمراً غيرَ شاكرِ نعمتي . والكفر مَخْبَثة لنفس المُنعمِ (٩) !

قد يأتي رجل غني كريم فيأمر باتزال الراية واسقاء الناس على حسابه حتى تنفد تلك الخمر). ملوم : يلام على انفاقه ماله في مثل هذا السبيل .

(١) ابدى نواجذه (اضراسه) : ضحك . (٢) مهند : سيف . مخذم : قاطع . (٣) مد النهار : طول النهار . العظلم : شجر احمر — لا ازال اذكر انه بقي طول النهار ملقى على الارض مضرجاً بدمه . (٤) كان ثيابه في سرحة (شجرة طويلة) : كناية عن طول قامة هذا البطل . يحذى نعال السبت : يلبس حذاء من جلد رقيق مدبوغ (كناية عن غناه) . ليس بتوأم : لا مثيل له (في شجاعته) . (٥) نواهل . شاربات (من دمي) ؛ بيض الهند : السيوف . (٦) ما زائدة . شاة قنص : طريدة (صيد). — يخاطب عبلة فيقول : انت نصيب لكل رجل يدفع مهرك ، ولكنك حرمت علي انا وحدي . (٧) الاعادي : اهل عبلة (هنا) . غرة : غفلة . الشاة : المرأة ايضاً (عبلة) . ممكنة لمن هو مرتم : اي الذي يهجم عليها يستطيع خطفها . (٨) جيد : عنق . الجداية : الرشأ (الغزال الصغير) . الحر : الصافي البياض . ارثم : له سواد في شفته العليا . (٩) اخبرت ان عمراً (اباه ؟) لا يعترف بافعاله في الحرب . والكفر مخبثة لنفس المنعم : ان الجحود يمنع المحسن

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم (١) .
في حومة الموت التي لا يشتكي غمراتها الابطالُ غيرَ تغمغُم (٢) .
اذ يتّقون بي الاسنّةَ ، لم اخِمْ عنها ، ولكني تضايق مُقدمي (٣) .
لما سمعت نداء مُرّةَ قد علا ، وابنَيْ ربيعةَ في الغُبار الاقتم (٤) .
ومحلّمٍ يَسعَونَ تحت لوائهم . والموت تحت لواء آل محلّم (٥) !
ايقنتُ ان سيكونُ عند لقائهم ضربٌ يُطيرُ عن الفِراخ الجُثّم (٦) .
لما رأيت القوم اقبل جمعهم يَتَذامرون ، كررت غيرَ مُذمّم (٧) .
يَدْعون : عنترَ ! والرماح كأنها أشطان بئرٍ في لَبان الادهم (٨) .
ما زلت ارميهم بثُغرة نَحره ولَبانه ، حتى تسربل بالدم (٩) .
فازورّ من وقع القنا بلَبانه وشكا اليّ بعَبرة وتحمحم (١٠) .
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ، ولكان لو علِم الكلام مكلّمي
والخيلُ تقتحم الخَبارَ عوابساً ما بين شَيْظمةٍ واجردَ شيظم (١١) .

من معاودة احسانه . (١) الوصاة : الوصية . عمي : (لعله مالك ابو عبلة) . الضحى : الصباح . تقلص الشفتان عن وضح الفم : تتقلص الشفتان لشدة البرد فتبدو الاسنان . (٢) حومة الموت : المعركة . غمراتها : شدائدها . تغمغم : صوت غير مفهوم . — عملت بوصية عمي في خوض هذه المعركة الشديدة في هذا البرد الشديد (لافوز بعبلة) . (٣) يتقون بي الاسنة : يقفون خلفي حتى لا تصيبهم الرماح . خام ، يخيم : جبن ، تراجع . تضايق مقدمي : ان كثرة الفرسان امامي منعت حصاني من ان يتقدم . (٤) الاقتم : الاسود . (٥) مرة وربيعة ومحلم : قبائل . (٦) اللقاء : الحرب . ضرب يطير (لشدته) امات الطير عن فراخها التي تجثم عليها وتحضنها . (٧) يتذامرون : يحض بعضهم بعض . كررت : هجمت . غير مذمم : غير مذموم . (٨) ينادون يا عنترة ! بينما كانت الرماح تتوالى على صدر حصاني الاسود كما تتوالى الاشطان (الحبال) نازلة وصاعدة في البئر (لاستقاء الماء) . (٩) ثغرة نحره : مقدمة صدر الحصان . تسربل : اكتسى . (١٠) ازور : مال . عبرة : دمعة ، بكاء . تحمحم : صوت متقطع . (١١) الخبار : الارض اللينة ذات

ولقد شفى نفسي وابرأ سُقْمَها قِيلُ الفوارس: «وَيكَ عنترَ، اقدم»(١) !
ذُلُلٌ ركابي حيثُ شئت. مُشايعي قلبي، واحفِزُه بأمر مُبرم (٢).
ولقد خشِيت بان أموت ولم تدر للحرب دائرةٌ على ابنَيْ ضَمضَم (٣).
الشاتَمَيْ عِرضي ولم اشتُمهما والناذرَين اذا لم القهما دمي (٤).
إنْ يفعلا، فلقد تركتُ اباهما جَزَرَ السباع وكلِ نَسر قَشْعم (٥).

الحفر. الشيظم: الحصان الطويل. الاجرد: القصير الشعر.

(١) قيل: قول. ويك: انتبه! (٢) مطاياي تطيعني للذهاب وقلبي شجاع يصحبني في كل رحلة او حرب، وكذلك ادعم شجاعة قلبي بامر مبرم (بجزم ولا اتردد). (٣) خفت ان اموت قبل ان اقتل هرماً والحصين ابني ضمضم. (٤) اللذين... يتوعداني بالقتل ما داما بعيدين عني، فاذا رأياني خافا مني. ويروى: والناذرين اذا لقيتها دمي — يقصد انهم يقولون اذا رأيناه فسنقتله(٥) ولو قتلاني لما اهتممت لانني قتلت اباهما من قبل.

* وقد قتل احد بني عبس هرماً في صلح داحس والغبراء كما علمت عند الكلام على معلقة زهير بن ابي سلمى.

الفهرست

صفحة

الكلمة الاولى : صحة الشعر الجاهلي ٣

الجاهلية والشعر الجاهلي ٥

خصائص الشعر الجاهلي ، اغراضه وفنونه ٨

الشعراء الخمسة : ١٥

حياتهم ، خصائصهم ، فنونهم ، اغراضهم والمختار من شعرهم

١. امرؤ القيس ومعلقته ١٥

٢. طرفة ومعلقته ٢٩

٣. النابغة والمختار من شعره ٤٣

٤. زهير ومعلقته ٦٤

٥. عنترة ومعلقته ٧٧

دراسات قصيرة
في الادب والتاريخ والفلسفة

❀

مقدمة الدراسة الاولى (سنة ١٣٦٠ هـ و ١٩٤١ م)

الكلمة الاولى

هذه دراسات قصيرة بعثت الحاجة اليها على اصدارها بهذا الشكل المتواضع في هذه الحقبة العصيبة . وقد احببت ان تتميز بامور :

الشمول في البحث

والدقة في التأليف

التنظيم في العرض

والاتجاه القويم

ومع انها تنحو النحو العلمي فانها ليست بعيدة عن متناول القارىء العام اذ كشفت فيها عن بعض الحقائق التي لم تستقص بعد والتي كانت مغمورة في بطون التاريخ .

وبما ان هذه الدراسات ملخصة من دراسات اوسع منها في الاكثر او هي في الحقيقة اطار لدراسات اوسع مجالا فانني استغنيت هنا عن الاشارة عن المصادر او الرجوع بالحقائق الى مظانها .

هذا كل ما قصدت منها ولعلي بالغ به بعض ما اريد .

ع . ف

مكتبة منيمنه

شارع المعرض * بيروت

تجد فيها كتباً مدرسية عربية وافرنجية وعلمية وادبية ودينية وغيرها من مطبوعاتها ومن مطبوعات سواها . وكذلك تجد جميع انواع القرطاسية من دفاتر وورق واقلام حبر، وسائر لوازم المدارس والمكاتب والمطابع ، كل ذلك باسعار على غاية من الهوادة ، ومعاملة صريحة جميلة .

جربوا معاملتها في كل شأن من شؤون المكاتب تجدوا ما يسركم من سرعة التلبية وجودة البضاعة وحسن المعاملة .

المسلم الصغير ــ تأليف محمد طاهر اللاذقي

(وهو كتاب في الدين للاطفال باسلوب سهل وبصور تبين اوضاع الصلاة)

من مطبوعات مكتبة منيمنه

PUB. LIBRARY

DATE DUE

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00511362